افتتاحية العـــدد

إبراهيم بن موسى الحميد

يفجعنا الرحيل المفاجئ لمن نحب ونعرف عن قرب، هذا بالرغم من إحاطتنا بالموت من كل جانب، ونحن نرى عن قرب أيضا أقارب وأعزاء لنا وأحباب لأهليهم ولأصدقائهم يتزاحمون على مقابر الموتى لحجز أماكنهم باكرا.

كنا نظن أنهم عاشوا طويلا، وعندما يفجعنا غيابهم نكتشف كم كنا مخطئين، وأنهم لم يلبثوا إلا قليلا، وأن بقاءهم كان يضيء طريقنا، و أن رحيلهم يعجّل مرور الأيام.

من هؤلاء الذين افتقدناهم مؤخرًا، وكان غيابهم موحشًا ومفاجئًا، الدكتور عبدالرحمن الصالح الشبيلي الذي كان أحد مداميك مركز عبدالرحمن السديري الثقافي، وكان حضوره بارزًا ومؤثرًا في الساحة الثقافية في المملكة العربية السعودية.

ارتبط أبو طلال –عبدالرحمن الشبيلي– في سنواته الأخيرة بمؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية، وتوطدت علاقته بها، وكان أحد أبرز وجوه منتدى الأمير عبدالرحمن السديري للدراسات السعودية في سنواته الأخيرة.

كان الشبيلي متميزًا في كتاباته للسِّيَر، وللمقالات، وفي قراءاته للكتب، ومشاركاته في مختلف الفعاليات، وقد كان الحضورُ لمنتديات الأمير عبدالرحمن السديري للدراسات السعودية يُنصت بشكل مختلف عندما يبدأ الشبيلي بإلقاء كلمته التي عوّد جمهور المنتدى على إلقائها، ولذا فإن الكثيرين سيفتقدونه، ومنهم هذا المنتدى الرائع.

كانت سيرة الشبيلي حافلة وثرية، وبقدر ما كان فيها من عمق وتجربة.. فقد كان وفيًا مع ثرائها، فأفرغ كثيرًا من ذاكرته وتجربته في كتاباته التي نشرها في مقالاته ومؤلفاته، وآخرها كتاب "مشيناها " لسيرة جميلة وأمينة كادت أن تأخذ صاحبها إلى كتابة الرواية التي تمنّى امتلاك ناصيتها، ولكنه آثر تسميتها "حكايات ذات" مستعرضًا أبرز ما مرّ به في مراحل حياته.

بدأت قصة عبدالرحمن الشبيلي في مدينة عنيزة بالقصيم عام ١٩٤٣م، حيث وُلد فيها من أبوين هما: صالح الشبيلي، وفاطمة، الفتاة القادمة من تركيا، التي تزوجها والده عام ١٩٢٦م، وبقي في مسقط رأسه حتى إكمال دراسته الثانوية، ثم انتقل إلى الرياض حتى أنهى دراسته فيها عام ١٩٦٣م، والتحاقه بوزارة الإعلام وبروزه كمذيع وإعلامي معروف، ومواكبته لبدايات الإذاعة والتلفزيون، ثم سفره إلى الولايات المتحدة الأميركية لدراسة الماجستير عام ١٩٦٩م، ومن ثم إنجاز الدكتوراه في أمريكا عام ١٩٧١م.

تولى الشبيلي مناصب عديدة في وزارة الإعلام، ثم انتقل إلى وزارة التعليم العالي ومارس العمل الأكاديمي والتأليف، ثم عُين عضوًا في مجلس الشورى من العام ١٩٩٤م وحتى العام ٢٠٠٥م.

كانت حياته حافلة بالإنجازات الثقافية، والجوائز التقديرية، كما كان من الشخصيات التي لها حضور ثقافي مرموق، ولها تقدير عالٍ، وكان يحظى قلمه بالاحترام والتقدير من كافة الصحف المحلية، فقد كانت تبرز كتاباته في مواقع لها أهمية بارزة ، كما أنجز رحمه الله أكثر من ثلاثين كتابًا خلال مسيرته، منها: الملك عبدالعزيز والإعلام، ركائز التنمية السياسية في فكر الملك عبدالعزيز، فصل من تاريخ وطن وسيرة رجال (عبدالرحمن بن أحمد السديري أمير منطقة الجوف) بمشاركة نخبة من الباحثين، التجربة الشورية في المملكة العربية السعودية بين الإطار والتطوير، إبراهيم العنقري، عبدالله بن خميس، عنيزة وأهلها في تراث حمد الجاسر، حديث الشرايين، جريدة الدستور البصرية والشؤون السعودية والكويتية فيها، سوانح وأقلام في السياسة والثقافة والإعلام، محمد أسد.. هبة الإسلام لأوروبا، مجلس الشورى.. قراءة في تجربة تحديثه (بالمشاركة مع آخرين)، خالد بن أحمد السديري، تأسيس المملكة العربية السعودية بأقلام ٦٠ مؤرخا، وأخيرًا كتاب سيرته (مشيناها: حكايات ذات).

وقد توفي الشبيلي رحمه الله مساء الثلاثاء ٢٨ ذو القعدة ١٤٤٠هـ (٣٠ يوليو ٢٠١٩م)، بعد بضعة أشهر من إنجازه لسيرته التي أسماها "مشيناها".

والجوبة إذ تنشر محورًا خاصًا بالراحل الكبير رحمه الله، فهي تحاول استعادة ذكراه، وفاءً لما قدّمه لوطنه ولمركز عبدالرحمن السديري الثقافي، وكما قال الدكتور زياد بن عبدالرحمن السديري "إننا جميعًا في المركز سنفتقد الكثير بعد رحيل أبي طلال، كما سيفتقده المتابعون والمستفيدون من أعماله ومناشطه..". وكما كتب الدكتور عبدالواحد الحميد في العدد ٦٤ من الجوبة "إن أسرة مركز عبدالرحمن السديري الثقافي تشعر بشكل خاص بمرارة الفقد، فعلى مدى سنوات طويلة ماضية وإلى يوم رحيله المؤلم الحزين.. كان د. عبدالرحمن الصالح الشبيلي شعلة من النشاط ضمن أسرة هذا المركز، وبهذا الرحيل المفاجئ الصاعق تشعر أسرة المركز أن ركنًا ركينًا من أركانه قد هوى، تاركًا في قلوب محبيه داخل المركز وخارجه فراغًا موحشًا يصعب ملؤه."

رُبَّ أخٍ

■ زياد بن عبدالرحمن السديري*

نلتقي عبر الأيام أشخاصاً يكون لهم، دون سواهم، أثرٌ كبيرٌ وباقٍ في حياتنا. الدكتور عبدالرحمن بن صالح الشبيلي رحمه الله، كان أحد هؤلاء الأشخاص بالنسبة لي، وربما لكثيرٍ منكم.

التقيته لأول مرة عند انضمامنا عضوين في مجلس الشورى في دورته الأولى، وكان رحمه الله صاحب المبادرة والفضل معاً في ذلك. فبعد اللقاءات العابرة، والأخرى الرسمية، التي كانت تجمع بين أعضاء المجلس، شاءت الأقدار أن تجمعني بأبي طلال، وتؤسس لعلاقة صداقة وأخوّة ربطت بيننا، عندما تحدثت ومجموعة من الزملاء في المجلس عن تنظيم رحلة برية في مطلع شتاء ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، فعلم أبو طلال بمشروع الرحلة، وانضم إليها، وغدا قائدها المحرِّك لها، والمهتم الأول باستمرارها في كل عام لاحق بعد ذلك، حتى شتاء العام الماضي.

وتبع انطلاق الرحلة، التي غدت حولية، وأطلق عليها أبو طلال اسم الشورحالة، حديثٌ بيننا عن مشروعٍ كنت أسعى لإكماله، ألا وهو تدوين ما تيسر من سيرة مؤسس المركز الثقافي الذي كنت، وما زلت، أتولى متابعة أعماله، الوالد رحمه الله.



د. زياد بن عبدالرحمن السديري

فقد بادر أبو طلال بسؤالي عما فعلناه في هذا السبيل، ثم شرع فاقترح خطة عمل لإنجاز المشروع، واستعد فتولى رئاسة تحريره، واستمر فتابعه حتى صدوره بعنوان: «**تاريخ وطن وسيرة رجال**»، وهو العنوان الذي اختاره له.

ورغب مجلس إدارة المركز تقديم مكافأة نقدية لأبي طلال نظير إكماله هذا العمل، ولكنه رفض قبول المكافأة، موضحاً أنها ما كانت غاية له في تصديه للمشروع، وما كان يرغب لها أن تغير في ذلك.

ولم تقف عطاءات أبي طلال للمركز



يلقي كلمة هيئة منتدى الأمير عبدالرحمن بن أحمد السديري للدراسات السعودية، وإلى يمينه فيصل بن عبدالرحمن السديري

عند مشروع السيرة، بل توسّعت بعدها ليكون له حضوره الملموس في المناشط الثقافية الأخرى للمركز: المنبرية منها وغير المنبرية؛ كما انخرط في عضوية المجلس الثقافي في المركز، وهيئته التنفيذية المنظمة لهذه المناشط، متقبلاً العضوية ورافضاً الرئاسة؛ ثم انضم لعضوية مجلس إدارة المركز، وترأس لجنة الاستثمار فيه، تحت إلحاح المجلس عليه بقبول رئاسة اللجنة لغايات أوضحها له المجلس.

وغنيٌّ عن القول، إننا جميعاً في المركز سنفتقد الكثير بعد رحيل أبي طلال، كما سيفتقده المتابعون للمركز والمستفيدون من أعماله ومناشطه. فكما يعلم كلُّ مَنْ عرف أبا طلال وعمل معه، فهو رجلٌ فريدٌ في نوعه، كريم النفس، هادئ الطبع، خفيض الصوت، بليغ الخطاب، صادق القول، راجح الرأي، إيجابي التوجه، محب للخير، سامي الخلق، مؤاثرٌ على الذات. لا يكثر الكلام، فإن تكلم أتى بما يوجب الإنصات والقبول، دون إلحاح أو جدال. لا يقصر تفكيره في حدود المألوف، بل يفكر خارج الصندوق، دون أن يكون في تفكيره شطط أو تجاوز غير مقبول. لهذا، أجزم أن ما من نشاط قام به المركز بعد انضمام أبي طلال إليه إلا وكان لأبي طلال بصماته الخلاقة الواضحة فيه. نعم، سيفتقد مركز عبدالرحمن السديري الثقافي أبا طلال، وسيترك أبو طلال فراغاً في المركز ليس من المتيسر تعويضه.

وسأفتقد أنا أبا طلال على مستوىً آخرَ أيضاً. فكما أشرت في مطلع هذه الورقة، وكما ذكرت في مناسبات سابقة؛ فقد ربطتني بأبي طلال علاقة الصديق بصديقه بما انطوت عليه من حميمية وانفتاح،



خلال مشاركته بمنتدى الأمير عبدالرحمن بن أحمد السديري للدراسات السعودية بدار الرحمانية في الغاط

وعلاقة الأخ بأخيه بما اتصفت به من متانة وديمومة، وعلاقة الابن بوالده بما قامت عليه من احترام جم منّي له. فأبو طلال لم يكن ليكتفي بإبداء الرأي لي فيما أستشيرُه به، فيُسِرُّه لي بصدق، أو يستجيبُ لما أطلبه منه، فيقدمه لي دون تردد، أو يقفُ معي كلما احتجتُ له، فيشد من ساعدي؛ وإنما كان فوق هذا يُبادرُ فيُشيرُ عليَّ بما غفلتُ عنه، ويُقدِّم لي ما لم أجرؤ على طلبه، ويحثّني على عملٍ ما كان يجدرُ بي التصدِّي له.

كنتُ أودُّ أن أقولَ إنها علاقة خاصة ربطتني دون سواي بأبي طلال. إنما الحقيقةُ هي أنَّ أبا طلال كان كذلكَ مع كُلِّ مَن سعد بمعرفته، الأخُ الذي يطمئنُّ له الجميعُ، والصديقُ الذي يثقون برأيه، والرجلُ الذي لا يغيبُ عند الحاجة إليه. ولا أدلَّ على ذلك من الأثر البالغ الذي تركه رحيلُ أبي طلال، كما ظهر من جمهور الحضور الكبير الذي شارك بالصلاة على جثمانه، وشهد دفنه، وقدَّم العزاء فيه. وكما عبرت عنه الرثائيات الكثيرة التي كتبت فيه، شعراً ونثراً. وكما تشهد به المنتديات المتتابعة التي تناولته موضوعاً لها، كما في هذه الندوة. وما فعل الناس هذا إلا حباً لأبي طلال، وتقديراً لمآثره، وتعبيراً صادقاً عن فجيعتهم بفقدانه، ليس إلا.

شهدت تدفق هذه المشاعر فقلت إننا ما نزال بخير ما دمنا نحمل هذا الحب والوفاء لنبيل كأبي طلال. وتأملت في ذلك ففهمت أن أبا طلال ظلَّ في وفاته، كما كان في حياته، محركاً لأحسن ما فينا.

رحم الله أبا طلال.

* العضو المنتدب في مركز عبدالرحمن السديري الثقافي.

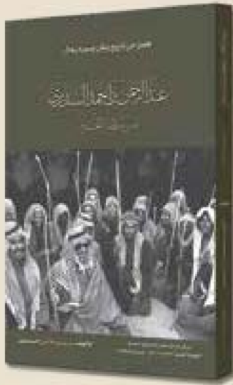
نقشٌ على شاهدة

■ عبدالرحمن الدرعان*

منذ تأسيس نواته الأولى المتمثلة في مكتبة الثقافة العامة بالجوف في منتصف الثمانينيات الهجرية كان - وما يزال - مركز عبدالرحمن السديري الثقافي أشبه بينبوع تأوي إليه الطيور من كل جهات الوطن، وكان من حسن حظي أن عملت في هذا المركز، ما هيأ لي فرصة الالتقاء بعدد من الشخصيات الثقافية الفاعلة، وكان أحد هؤلاء المرحوم الدكتور عبدالرحمن الشبيلي، الذي جمعتني به مناسبات عديدة، فضلا عن مشاركتي مع نخبة من الباحثين والكُتّاب في كتابة فصل من كتاب (عبدالرحمن السديري: فصل من تاريخ وطن وسيرة رجال) الذي عكف رحمه الله على تحريره، وخلال تلك الفترة كنا استجابة لمقتضى العمل - نتواصل باستمرار: فتارة نجتمع في منزله بالرياض، وتارة أخرى نكتفي بالتواصل الهاتفي، وكانت مثابرته وجهوده ومتابعته الدؤوبة سبباً في نجاح الكتاب وإنجازه في الوقت المناسب، وفقا للخطة المقررة، منذ البدء حتى الختام، بيد أن العلاقة الشخصية بيننا امتدت وتوثّقت فيما بعد.

في زيارته الأخيرة للجوف، دعاني الصديق خليفة المسعر إلى فنجان قهوة، بصحبة الراحل، الذي كان قادما - على الرغم من زحمة مشاغله - لتلبية دعوة المركز لأمسية شعرية، وقد أرجأ دعوتي له بسبب سفره واعدا إياي أن يشرفني بالزيارة في مناسبة قادمة، اتضح الآن أنها مناسبة لن تجيء؛ فالموتى يتركون مواعيدهم بلا رأفة، كما تترك العصافير أنغامها على الأشجار وتهاجر.

لا أدعي بأنني أحطت بمعرفته، لكنني أستطيع الزعم بأن ما عرفته يكفي للكتابة عن بعض سماته الشخصية؛ ولكنه بالتأكيد لا يفيه حقه من التأبين، بل أظن أنني وجدت في شخصيته من اللطف والحنوّ والكياسة ولباقة الحديث، ما يجعلني أوثر - عوضا عن الكتابة - أن أهيل الدمع على الكلمات، وأحدّق في هذا الفراغ الذي تركه في داخلي: فقد شعرت حال سماع خبر سقوطه من شرفة بيته في ضواحي باريس بذلك الدوي الهائل الذي يجعلك تهرع في لحظة جزع لتتفقد نفسك في المرايا، متسائلا فزعا: هل كان ذلك مناما؟ مرددا ما قاله المتنبي:



طوى الجزيرة حتى جاءني خبرٌ
فزعت منه بآمالي إلى الكذب

ورأيت وحش الموت يعض قلبك ويزدرد ما تبقى فيه من فرح، ويفتال صفي أضلاعك المتقابلتين كرجال متأهبين للعرضة، فيا ترى هل كان لاسمي نصيب من ذلك الارتطام الهائل؟! وهل تتصادى الأسماء إلى ذلك الحدّ؟

منذ تلك اللحظة، كلما نودي باسمي لاحت لي هاوية سوداء، واعتراني الشعور بالفقدان مجدداً وتحرّك في داخلي حطام شيء ما.

منذ تلك اللحظة العاصفة، لم تعترِني طمأنينة، ولم يؤذن الأمل في داخلي: اتئد، فعما قليل سينهض ملء قامته، ويقف كالمئذنة بكامل عافيته؛ فثمة صوت لم يكن سوى صوت الناعي يندلع في أصقاع روحي هاتفا: (اسمع الكلمات ولكن لا تصدق سوى الرائحة). وهكذا يوم نقلوه إلى المستشفى التخصصي بالرياض انتشرت شائعة موته التي كذبها المقربون منه مصحوبة بدعوات متوجسة كما لو أنها تسمع صدى ما قاله الملاك لي بعد أن مر بي كطيف أسود:

أنا ذاهب للقبض على اسمك، فانتبه. أنساك اليوم لئلا تنساني أبدا. قلت اتئد أيهذا الملاك فصاح: عرفت طريقي. وراوغني وابتعد. وهناك كان يسل روحه العابقة بالحب، ويسل معها روح البهجة التي لم تكن أبدا تكتمل إلا عندما يلقي هلال ابتسامته على حواشي لقاءاتنا المتعاقبة.

فهل سنجرؤ بعد الآن أن نودع أحبتنا بالجملة الزائفة: «إلى اللقاء»، وهل سوف نستمر بالكذب، ونحن ندرك أن القارب الذي أقله إلى الضفة الأخرى لن يعود به، ولكنه سيعود في رحلة صيدٍ جديدة.

لا أتذكر متى التقيته وجها لوجه للمرة الأولى، لكن ما أتذكره جيدا أنني عثرت في تلك اللحظة على المعنى الحقيقي لتلك الكلمة التي ظلت جامدة في القاموس (دماثة) الأخلاق، وأستطيع القول بلا مبالغة إنه حرّر هذه الكلمة من المعجم متمثلا إياها؛ ولذا، أظن أن أحداً لن يختلف معي على ذلك الطابع الذي طبع شخصية الراحل، رحمه الله، فسبحان الذي سوّى.

لو عُدنا ثانية إلى محاضراته وبرامجه الإعلامية، واستحضرنا صورته متحدثا على المنصة، فإننا على الأرجح لن نتمكن من التقاط كلماته ما لم نُصغِ إليه بكل حواسنا، فقد كانت حنجرته مدوزنة على مقام الأسرار، ويا لهول ما نكتشفه من الجمال في الكلمات التي يقولها بطبقة صوته التي تضفي عليها لونا آخر.

وعبدالرحمن الشبيلي، كما يعرف المقربون منه، حصانٌ مشّاءٌ، يمشي الهوينى أنيقا، كما لو أنه يخرج للتو عريسا من قصيدة نزار قباني، ويجس الأرض على إيقاع موسيقى أبي العلاء:

خفّف الوطءَ ما أظن أديم الـ
ـأرض إلا من هذه الأجساد

نعم، كان يمضي في طريق الحياة على صراط الحب، لا أقل ولا أكثر، ويحيا وهو يرهف السمع إلى دقات قلبه، مؤمنا بأن كل نبضة هي احتمال النبضة الأخيرة؛ وقد كان إذا شئنا أن نصفه بدقة: تابوت عظام مرَّ كما يمرُّ القمر على البحيرة؛ ولكنه سيظل حيا كالوشم الأخضر بقدر ما كانت الحياة صغيرة وضيقة في عينيه.

يجدر بي أن أشير إلى أنني مذ تأكدت من نبأ وفاته لاح لي اثنان، أجزم أنهما كانا أكثر ثكلا وحزنا على رحيله: الدكتور زياد بن عبدالرحمن السديري، والدكتور عبدالواحد الحميد؛ وعندئذ لم أجد مناصا من مواساتهما، وبين سطور رسالتي كنت أقول لهما: قفا نبك، وقد وقفنا معا، وكنا نبكي.

وعلى حدة، وقفنا نكتب على شاهدتي قبره: سلاما عليك أبا طلال.

سلاما على روحك، وأنا أكاتبك حرا من قيد المجاملات.

أبا طلال: ليتك لم تمت، وليت أننا لم نكتب رثاءك.

---

* كاتب وقاص من السعودية.

مشيْناها.. سطراً سطرا

■ د. عبدالواحد الحميد

ذات يوم من شهر ديسمبر عام ٢٠١٢م كنا - د. عبدالرحمن الشبيلي وأنا- نأخذ مقاعدنا في صالة المغادرين بمطار الملك خالد الدولي بانتظار إقلاع الطائرة التي ستُقلِّنا إلى الجوف للاشتراك في ندوة نظمها النادي الأدبي هناك عن المرحوم الدكتور عارف المسعر.

ليلة السفر إلى الجوف مع الدكتور الشبيلي، كنت أرتب أوراقي وأغوص -كالعادة- في أرشيفي القديم مستعرضاً الصور والمجلات والجرائد والقصاصات المتراكمة على مدى عشرات السنين مما قد يكون له علاقة بالرحلة؛ فقفَزَتْ إلى ذهني صورة النجم عبدالرحمن الشبيلي الذي كنت أقرأ عنه في الصحف عندما كنت طالباً في المدرسة المتوسطة في الجوف في منتصف الستينيات الميلادية.

كنت أقتني أعداداً كثيرة من مجلة «الجمهور الجديد» اللبنانية التي كان فريد أبو شهلا يرأس تحريرها، وكانت المجلة تهتم بأخبار المملكة وتفرد لها صفحات كثيرة، بما في ذلك بعض الأخبار المتعلقة بالتلفزيون والراديو والثقافة والفن بالمملكة، فتذكرت أنني شاهدت ذات مرة صورة للشبيلي في أحد أعدادها القديمة وتحتها تعليق عن نجم التلفزيون السعودي عبدالرحمن الشبيلي. لم يكن من الصعب العثور على المجلة، فهي ضمن مجموعة من المجلات الأثيرة عندي لارتباطها بمرحلة من العمر وبمكان وزمان وظروف ذات خصوصية وعمق وأثر في نفسي. وعندما تصفحت بعض أعداد المجلة عثرت في العدد ٦٣٦ الصادر بتاريخ ٢٥ آب (أغسطس) ١٩٦٦م على موضوع منشور في الصفحة التاسعة والعشرين بعنوان «نجوم التلفزيون» جاء فيه تعريف بعبدالرحمن الشبيلي على النحو الآتي: «عبدالرحمن الشبيلي مدير برامج تلفزيون الرياض -يبلغ من العمر ٢٤ سنة- يحمل شهادة الليسانس من كلية اللغة العربية وشهادة البكالوريوس من قسم الجغرافيا بجامعة الرياض -انضم إلى أسرة الإذاعة والتلفزيون قبل ثلاث سنوات- عمل أولاً مذيعاً في إذاعة جدة، ثم انتقل إلى إذاعة الرياض حيث عمل مساعداً لمراقب عام البرامج إضافة إلى قيامه بعمله مذيعاً، وقبل عام تقريباً انتقل إلى التلفزيون ليعمل مديراً للبرامج إلى جانب تقديمه لبعض البرامج والنشرات الإخبارية في الإذاعة والتلفزيون.. من برامجه التي يقدمها في التلفزيون برنامج حديث الأصدقاء وبرنامج الأخبار في أسبوع».

صوّرت الصفحة التي تتضمن الخبر، وفي صالة المغادرين بالمطار قدمتها للدكتور الشبيلي، ورحنا نتحدث طويلاً، وغصنا في ذكريات الماضي عن أحداث وشخصيات طواها الزمن، وعندما انتبهنا كانت الطائرة قد أقلعت



وتركتنا نتحدث في صالة المغادرين؟

تذكّرتُ تلك الواقعة حين كنت أتصفح كتاب السيرة الذاتية للدكتور الشبيلي الذي صدر مؤخراً بعنوان: «مشيناها.. حكايات ذات». فالشبيلي النجم التلفزيوني الذي كانت الصحف تتناقل أخبار نشاطاته وبرامجه، هو من ظلت صورته عالقة في خيال فتى من الجوف يعشق القراءة ولا يعرف عن التلفزيون إلا اسمه؛ لأن التغطية التلفزيونية لم تكن قد شملت الجوف في ذلك الزمان. هذه النجومية التي ربما غبط كثيرون الشبيلي عليها هي التي تُحدّث عن معاناته معها في الصفحة ١٥١ والصفحة ١٦٣ وصفحات أخرى من كتابه الشيق الذي روى فيه رحلته عبر دروب الحياة منذ ولادته في مدينة عنيزة.

يقول الشبيلي: «دام الارتباط مع الإذاعة والتلفزيون نحو أربعة عشر عاماً، كانت على ما فيها من أضواء وشهرة، تمثل حياة شاب عاش منبهراً بالحظوة والاقتراب من دروب الساسة ودهاليز المسؤولين، فبين عشية وضحاها أصبح معروفاً من بعض شرائح المجتمع وانغمس مخدوعاً بـ'النجومية' الزائفة في عيون مَن عرفه، منذ انتقل وزملاؤه الفنيون من بيئاتهم المحدودة (...) لينصهروا في مجتمع متآلف متنوع الفئات من كل أنحاء البلاد؛ وليقود الفتى القادم من القصيم برامج تلفزيون الرياض دون سابق معرفة به». ثم يقول: «يشعر البعض من استقراء نماذج معينة، ومن خلال استعراض الآثار النفسية السلبية لتلك المظاهر على المتمتع بـ'النجومية' المضللة، بأن ضررها المحتمل على المستقبل يكمن في جوانب حياتية، منها تعطيل تقدم نجاحاته العلمية والثقافية فيما لو انساق وراءها وهو لم يكمل تحصيله العلمي واكتفى بما تضيفه على شخصه من تمجيد وتخدير».

بالطبع لم يتخدر الدكتور الشبيلي، ولم يتوقف عن التحصيل العلمي عند درجة الليسانس والبكالوريوس، وإنما واصل مشواره التعليمي حتى نهايته، ولم تكن مقاومة إغراء النجومية أمراً سهلاً، فقد كان عليه أن يتخلى عن أشياء كثيرة مما توفره النجومية للنجم؛ فغادر الوطن إلى الولايات المتحدة لدراسة الإعلام بشكل منهجي حتى حصل على درجتي الماجستير والدكتوراه في الإعلام. لكن الشبيلي الذي أحب الإعلام من خلال الممارسة الفعلية في المملكة قبل البعثة، وعلمياً بعد التخصص الأكاديمي في أمريكا عاد مجدداً إلى حقل الإعلام الأثير إلى نفسه متسلحاً بما تعلمه في البعثة وبما شاهده من تجارب إعلامية في الولايات المتحدة.

يروي الشبيلي في «مشيناها» بأسلوبه المميز الجاذب تفاصيل تتجاوز كثيراً في

أهميتها وادهاشها جانب النجومية الفردية التي هي 'مفتاح' معرفة الكثير من الناس للشبيلي، وبخاصة الأجيال التي عايشت الفترة التي كان يطل خلالها من الشاشة في زمنٍ كان التلفزيون السعودي هو القناة التلفزيونية الوحيدة المتاحة. يحكي الشبيلي قصة الخطوات الأولى لإنشاء التلفزيون السعودي وجهود رجال مخلصين مثل جميل الحجيلان في حماية التجربة عندما كانت في مهدها، وكيف مضت التجربة صعوداً وهبوطاً بين مدٍ وجزرٍ، وماذا كان يدور في كواليس التلفزيون ووزارة الإعلام من قصصٍ عايشها بحلوها ومرها، وتناقضات واشاعاتٍ، وتقاطعات ومصالح يغطيها ويطغى عليها تعاونٌ مجموعة من الإعلاميين والفنيين الشباب من مختلف مناطق المملكة، لتقديم أقصى ما يمكنهم تقديمه في ظل مثبطات اجتماعية وفنية ورقابية. ولكن في النهاية يقرر الشبيلي أن يغادر التلفزيون ووزارة الإعلام بعد سلسلة من المواقف، ويصف مغادرته قائلاً: «خرج (الشبيلي) من سنوات العمل في وزارة الإعلام صفر اليدين، من سيارة تنقلاته التي تمتلكها الوزارة، فأكرمه أحد معارفه بتوفير سيارة دوج من وكالتها في شارع الأحساء بتقسيط مريح». أما عن الإعلام فيقول الشبيلي: إن كاتب هذه الخواطر يجدد التأكيد على أنه لم يشعر في سنة من السنوات بالرضا عن مضمونه ومستواه، مقتنعاً بأن دولة في مكانة المملكة وصدارتها وموقعها، قمينة بإعلام داخلي وخارجي أفضل، وبحياة فكرية أرقى، لم يتسنَّ لهما الظهور. وعن الإعلام السعودي الخارجي تحديداً، يرصد الشبيلي ظاهرة الصحف والقنوات السعودية المهاجرة المدعومة بمال القطاع الخاص، ويرى أن نجاحاتها المهنية تتغذى على «إخفاقات الإعلام الرسمي، ولا يوجد اليوم سبب وجيه يُبقي الإعلام المهاجر الناجح خارج الحدود، بينما البلاد في مسيس الحاجة إليه. إنها تكاد تكون الحالة الوحيدة في العالم التي يوجد فيها إعلام مهاجر مؤثّر وإعلام رسمي داخلي لا يقوى على التأثير باعتراف حكومي صارت بموجبه البيانات المهمة والمقابلات تُخص بها القنوات المهاجرة».

ومن وزارة الإعلام إلى وزارة التعليم العالي ثم إلى مجلس الشورى امتدت رحلته تحت مظلة العمل الحكومي وشبه الحكومي، ثم جاءت المرحلة التي أعقبت انتهاء عضويته في مجلس الشورى لثلاث دورات متتالية فكانت من أجمل مراحل العمر، وبخاصة تفرّغه شبه



التام للتأليف وإلقاء المحاضرات والمشاركة في الأعمال التطوعية من خلال بعض الهيئات والجمعيات والمؤسسات.

ولعل من أمتع ما يطالعه قارئ "مشيناها" ذلك الوصف الذي يقدمه المؤلف لبيئات العمل المختلفة التي عمل فيها، فهو يفصح عن معلومات جديدة لا يعرفها القارئ عن بعض المشاهير وعن أساليبهم في العمل والإدارة والتحولات المفاجئة التي تحدث في بيئات العمل فتقلب الموازين وتعيد ترتيب الأوراق بشكل غير متوقع.

غير أن ما يمسُّ قلب القارئ حقاً هو حديث الشبيلي عن والدته وعن ابنه طلال. فبعد الوصف الأخاذ لبيئة عنيزة وحاراتها وأسواقها ورجالاتها يتحدث بشفافية تنفذ إلى شغاف القلب عن الفتاة الغريبة التي جاءت من أقصى الدنيا لتجد نفسها في عنيزة بعد رحلة طويلة قادتها من مدينتها إسطنبول، مروراً بالقريات حتى عنيزة. لم تكن تلك الفتاة سوى «فاطمة»


من نجوم التلفزيون

والدة عبدالرحمن الشبيلي التي تزوجت في القصيم، وذابت في مجتمع عنيزة حتى صارت مثل أي امرأة قصيمية الأصل والمنشأ والولادة؛ فكانت تتحدث بلهجة قصيمية خالصة، وتصنع الأكلات والحلويات المحلية، وتتعامل مع التمور وتعرف أنواعها بالرغم من أنها «كانت في الأصل نازحة من تركيا إثر الحرب العالمية الأولى أو حرب الأتراك والأرمن، وقَدِمت إلى الجزيرة مع عددٍ من بنات جنسها». يقول الشبيلي: "بعد أن وضعت الحرب أوزارها، لم يكن لدى بعضهن من المعلومات ما يكفي للاستدلال على أسرهن بسبب صغر السن؛ ويضيف: "كان الأشقاء الثمانية (أبناء وبنات السيدة فاطمة فيما بعد) يتمنون الحصول من ذاكرة الوالدة على طرف الخيط الموصل إلى أخوالهم وخالاتهم من أهلها، من أجل الاعتزاز بهم علناً أمام المجتمع، وكثيراً ما كانوا يجثمون أمام ركبتيها لاستنباط مفردة أو معلومة مفيدة يمكن أن تكمل كلماتها المتقاطعة وتقود إلى معرفة منشئها الكريم الذي وفدت منه ويغبطون غيرهم الذين يحصلون على مبتغاهم المماثل".

أما طلال: الابن الوحيد الذي رحل مبكراً في سن الرابعة والأربعين، فقد كانت قصة رحيله التي سجّلها المؤلف عبر التنقل بين مستشفيات المملكة والولايات المتحدة وفرنسا مؤلمة أشد الألم، ولكنها مليئة بالعبر، وبخاصة شجاعة طلال - رحمه الله - في مواجهة المرض على مدى ستة عشر عاماً وصبر زوجته واحتسابها، والتفاف الأسرة والأصدقاء ووقوفهم إلى جانب والديه وزوجته. يقول أبو طلال: «ظلت تجربة الحزن الصامت منذ وفاته جرحاً بالغ الغور في حياة أسرته، ودموعاً تذرفها عند ذكره وأمام صوره وعند زيارة قبره (...)، ومنذ أن

قدّر الله على العائلة فَقْدَ عزيزها طلال قبل خمسة أعوام، تغيرت أشياء كثيرة في حياة والده، بالنظرة إلى الأمور من حوله بواقعية أعمق، صار فيها يميز التوافه منها ويرى الأخرى بحجمها الطبيعي، فالدنيا أصغر من أن تُشغَل بالترّهات، والوقت أثمن من أن يضيع سدىً، يستصغر ما يراه من منافسات وحزازات في المناصب، ومن اهتمام الناس ومبالغتهم بالمظاهر والماديات».

"مشيناها" سيرة ثرية وزاخرة بالمواقف والأحداث لرجلٍ تردد كثيراً في وضعها في كتاب قائلاً في مقدمة كتابه -بكل تواضع- إنه «ظل يقف موقف المتحفظ أمام دعوات الحديث عن ذكرياته، فضلاً عن تدوينها لعدم اقتناعه بالمبدأ من ناحية، ولِيقينه بأن بضاعته في هذه الحياة متواضعة ليس في استحضارها قيمة تؤهل للرواية، وهي لا تقارن بتجارب كبار، ولا تتماهى مع تراجم مبدعين». هذا الرجل هو مَنْ كتب خمساً وخمسين كتاباً ومحاضرة مطبوعة في الإعلام والسيرة ومختلف الجوانب الثقافية، وحاز على جائزة الأمير (الملك) سلمان لخدمة التاريخ الشفهي وتوثيقه، وجائزة الأمير (الملك) سلمان التقديرية للتميز في دراسات تاريخ الجزيرة العربية، ثم توّج مسيرته بالحصول على وسام الملك عبدالعزيز من الدرجة الأولى تقديراً لإسهاماته في مجال الفكر والثقافة؛ وهو المؤلف، وأستاذ الجامعة، ووكيل الوزارة، وعضو مجلس الشورى، ورجل المجتمع الذي يرتاد مجلسَه كل أسبوع عشراتُ المثقفين والمسؤولين وأعيان المجتمع.



جائزة الملك سلمان التقديرية للتميز
في دراسات تاريخ الجزيرة العربية و بحوثه عام ٢٠١٤م

في مكانٍ ما من الكتاب يلخص الدكتور عبدالرحمن الشبيلي مسيرته الوظيفية والعلمية والثقافية بقوله: «لقد عثر وهو في أوائل العشرين من العمر على خارطة المستقبل مع الإعلام، ووجد في التعليم العالي وهو في بحر الثلاثين أفقاً واسعاً في المعارف والبحوث، وتعلم تحت قبة الشورى وهو في أواسط الخمسين أدب الاختلاف في الرأي واحترامه، ثم اكتشف في النشاط الثقافي بعد تقاعده الملاذ الفكري الشيّق والآمن».

في «مشيناها» يقدم الشبيلي لكتابه ببيت من الشعر (مشيناها خُطى كُتبت علينا.. ومَنْ كُتبت عليه خطى مشاها)، ثم يمشي بنا سطراً سطرا؛ في رحلة ماتعة لا يمل القارئ من متابعتها رغم صفحاتها التي بلغت أربعمائة وأربعاً وسبعين صفحة، وهو -بذلك- يضيف لبنة جديدة في «أدب السيرة الذاتية» المحلية.

* نائب وزير العمل سابقاً، أستاذ بجامعة الملك فهد للبترول والمعادن بالظهران سابقاً، عضو مجلس إدارة مركز عبدالرحمن السديري الثقافي، ورئيس هيئة النشر بالمركز.

نُــزُلُ الــنّــعــيــمِ

■ عبدالقادر بن عبدالحي كمال*

إلى الغائبِ الحاضرِ، أستاذي وزميلي وأخي، الدكتور عبدالرحمن بن صالح الشبيلي، رحمه الله، وأسكنه الجنان.

(١)

هَطَلَتْ عليكَ نَجيّةُ الدّعَواتِ
وهَمَتْ عليكَ سَوابغُ الرّحَماتِ

وتقبَّلَتْكَ منَ الإلهِ ملائكٌ
باليُمنِ والتّهليلِ والبَركاتِ

ودُعيتَ في نُزُلِ النّعيمِ(١) مُخَلَّداً
عندَ المُهيمِنِ غافرِ الزلاّتِ

وسَعى إليكَ اللُّطفُ من ملكوتهِ
يحنُو عليكَ بعاطرِ النَّفحاتِ

وحلَلْتَ في دارِ المُقامةِ(٢) عالياً
في باحةِ الفِردوسِ والجنّاتِ

(٢)

يا أيُّها النَّجمُ الذي مِنْ شُرفَةٍ
جَعلَ الجُمُوعَ تَغُصُّ بالآهاتِ

يا أيُّها الشَّهمُ الذي غادرْتَنا
مِنْ غيرِ تَوديعٍ ولا بَسَماتِ

ولأنْتَ أحرَصُ أنْ تُودِّعَ جمْعَنا
باللُّطفِ والتّقديرِ والدّعَواتِ

ولقدْ شَهِدْتُكَ يا نَبيلُ مُنزَّهاً
تأبَى السُّقوطَ بِحَمأةِ النَّعراتِ

مُترفِّعاً عنْ زلَّةٍ وخطيئةٍ
مُتعفِّفاً عن حَوبَةِ الشّهَواتِ(٣)

أنتَ الحَليمُ إذا تَصدَّى جاهلٌ
تُغضي حَياءً عندَ كُلِّ هَناتِ

(٣)

ولقدْ عَرفْتُكَ عالماً ومُعلِّماً
ولقدْ رأيتُكَ سَيِّدَ النّدَواتِ

كَمْ جُدْتَ لي بالفَضْلِ في دُلجاتِنا
وجَعلْتَني في أرفعِ الدّرَجاتِ

وأزَلْتَ خَوفي عنْ رُقيٍّ مَنابرٍ
ودَفعْتَني لِمنازِلِ الصَّهَواتِ

وغمَرْتَني بالودِّ يا نَبعَ الوفا
ودَعوْتَني لِمَشارِفِ الذّرواتِ

(٤)

عَلّمْتَني صَمْتَ المُهيبِ تَرفُّعاً
وسُموّتَ أنْ تَستجدِيَ العَتَباتِ

أرْشَدْتَني أنّ التّنزّهَ رِفْعَةٌ
لِمَنْ استَقامَ بِعِزّةٍ وثَباتِ

بيْني وبيْنَكَ ألفُ دربٍ مُوصِلٍ
لِمَناهِلِ الآمالِ والغاياتِ

ماذا أقولُ؟ وفي التَّراقي غُصّةٌ
مَملوءةٌ بالحُزْنِ والحَسَراتِ

(٥)

ماذا أقولُ؟ وفي فُؤادي مَأْتَمٌ
يَنداحُ بالغُصّاتِ والعَبَراتِ

ما أنْصَفوا إذْ أوْدَعوكَ إلى الثَّرى
مَثْواكَ في الأكبادِ والنّبَضاتِ

---

* شاعر من السعودية.

(١)،(٢) نُزُلُ النعيم، دارُ المُقامة، من أسماءِ الجنّة.

(٣) حَوْبَة: الحوبة أي الحاجة، وفي الدعاء: أرفع حَوْبتي إليك أي أرفع حاجتي إليك سبحانك.

د. عبدالرحمن الشبيلي مؤرخ الإعلام السعودي

■ د. عائض الرَّدَّادي*

قال عبدالرحمن الشبيلي في سيرته عن نفسه: "تجاوز الأربعين دون أن يلج في عالم الكتابة، وعندما بدأ عام ١٤١٢هـ/١٩٩٢م يخوض غمار التوثيق والتأليف، صار يسابق الزمن وكأنه في عجلة من أمره، يشعر أن للوقت قيمة إنسانية، وأن في عهدته واجباً لابد أن ينجزه، متأسفاً على ما فات من سنين إنسانية، قبل اكتشاف ضالّته؛ وجد أن الانشغال بالتوثيق هو أمتع ما ينتقل به المرء من صخب الوظيفة إلى حياة ذهنية هادئة منتجة؛ واكتشف في البحث عالماً شيّقاً من ناحية، وسياحة تسد فراغاً في المشهد الثقافي من ناحية أخرى"[1].

هذه بداية الشبيلي في تدوين التاريخ الإعلامي للمملكة العربية السعودية، وتوثيق سير بعض أعلامها؛ فهو قد راوح بين تاريخ الإعلام وتاريخ الأعلام، وقد كتبتُ عن ذلك مقالاً بعنوان "د. عبدالرحمن الشبيلي من الإعلام إلى الأعلام" ونشر في نشرة الخميسية في عددها التاسع، جمادى الآخرة ١٤٣٢هـ[2].

توصف المدينة السعودية عُنَيْزة بأنها باريس نجد، وفيها ولد عبدالرحمن الشبيلي، وقد كتب في سيرته "كانت الولادة على الأرجح، مساء السابع من شهر شوال ١٣٦٣هـ/(١٩٤٤/٩/٢٣م)، تزيد عاما أو تنقص"[3] وتوفي في مدينة باريس الفرنسية يوم الثلاثاء ١٤٤٠/١١/٢٧هـ، ٣٠ يوليو (تموز) ٢٠١٩م، وصُلي عليه ودفن في مقبرة الشمال في الرياض، وبين هذين التاريخين عاش وصنع تاريخاً في الإعلام (ممارسة وتاريخاً) وفي سير الأعلام.

تنوّع تكوينه الثقافي؛ ما جعله موسوعيَّ الثقافة؛ فهو قد حصل على ليسانس من كلية اللغة العربية في الرياض ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م، وبكالوريوس جغرافيا من جامعة الملك سعود في الرياض ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م، وبعد أن عمل زمناً مذيعاً ممارساً للغة العربية ابتُعث للولايات المتحدة الأمريكية، فنال الماجستير في الإعلام من جامعة كانساس ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م، ثم الدكتوراه في الإعلام من جامعة ولاية أوهايو ١٣٩١هـ/١٩٧١م، ومارس الإدارة الإعلامية في التلفزيون، والإدارة التعليمية في وزارة التعليم العالي، ثم صار عضواً في مجلس الشورى، الذي يتيح القراءة

في كثير من المجالات لتنوع ما يعرض عليه ويناقشه.

هذا التكوين الثقافي له - إضافة إلى إلمامه باللغتين الإنجليزية والفرنسية - مكّنه من سعة الثقافة وتنوّعها، فجاء أسلوبه الكتابي سهلاً شائقاً في اختيار المفردة، وتركيب الجملة؛ وصياغتُه ترتقي عن الأسلوب الصحفي إلى الأسلوب الأدبي، مع جلاء في الفكرة التي يعبّر عنها، وسلامة في اللغة العربية: معنى وقواعد.

قُدِّر الدور الكبير لعبدالرحمن الشبيلي في كتابة التاريخ فنال:

- جائزة الأمير (الملك) سلمان بن عبدالعزيز لخدمة التاريخ الشفهي وتوثيقه ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

- جائزة الأمير (الملك) سلمان بن عبدالعزيز ١٤٢٣هـ/٢٠١٤م.

- وسام الملك عبدالعزيز من الدرجة الأولى في المهرجان الوطني الحادي والثلاثين للتراث والثقافة (الجنادرية) ١٤٣٨هـ/٢٠١٧م(٤).

تخصص في جانبين من التاريخ؛ أولهما، تاريخ الإعلام السعودي، وثانيهما التراجم والسير. والثاني خرج من جعبة الأول؛ فقد أشار إلى تجاربه مع كتابة التراجم التي بدأت عام ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م حين سجل حلقات تلفزيونية عن أعلام خدموا الوطن في سبيل التأسيس ثم تجربته في كتابة سيرة السفير محمد الحمد الشبيلي إلى أن قال: "أما التجربة الثالثة من تجارب كتابة السير والتراجم فقد مررت بها بين عامي ١٤١٧هـ و ١٤٢٠هـ (١٩٩٧- ٢٠٠٠م) حينما كنت أعكف على تأليف كتابي التوثيقي عن تاريخ الإعلام السعودي الصادر عام ١٤٢١هـ، وقد أسفر البحث عن التطرق إلى عشرات من رجال الثقافة والإعلام في المجتمع السعودي؛ ما شجّع على كتابة مقالات عن كل شخصية على حدة"(٥) وقد نشر هذه المقالات مفرَّقة في الصحف ثم جمعها في كتب، وتأليفُه في السير والتراجم يحتاج إلى تفصيل ليس مكانه هنا، وإن كان منها ما يتعلق بإعلاميين، ككُتُبه عن إبراهيم العنقري، وعبد الله بلخير، وعباس غزاوي.

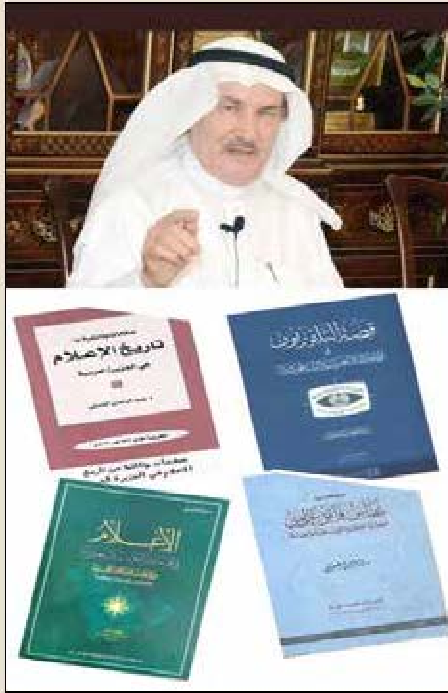
وعنوان كتابه التوثيقي عن تاريخ الإعلام السعودي "الإعلام في المملكة العربية السعودية - دراسة وثائقية وصفية تحليلية" يقع ٤٣٢ صفحة من الحجم الكبير، وفيه (١٣) فصلاً، تلتها ملاحق بالأنظمة الإعلامية، والسجل السنوي لأبرز الحوادث والمناسبات الإعلامية فالكشافات فالمراجع.

والكتاب شمل تاريخ كل وسائل الإعلام السعودية إلى حين صدوره في طبعته الأولى ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، واحتوت فصوله الثلاثة عشر على: بيئة الإعلام السعودي وظروفه وسماته، فالجهات الرسمية المعنية بالإعلام، فالإعلام الداخلي والخارجي والإعلام بالحج،

فالصحافة السعودية، فالإذاعة، فالتلفزيون، فوكالة الأنباء السعودية، فالتعاون الإعلامي الخارجي، فالإعلام والقطاع الخاص، فدراسات الإعلام وأبحاثه، فوسائل الإعلام الأجنبية في المملكة العربية السعودية، وفي الختام فصل عنوانه: نحو فكر إعلامي سعودي جديد".

وقد أوضح في مقدمته[1] أن بداية فكرة الكتاب كانت أطروحة علمية لدرجة الدكتوراه عام ١٣٩١/١٩٧١م من جامعة ولاية أوهايو الأمريكية، وترجمت مقتطفات منها، وأصبحت مذكرة مقررة على طلاب قسم الإعلام في جامعة الملك سعود الذي افتتح عام ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.

ولشعوره بالحاجة إلى كتاب شامل عن تاريخ وسائل الإعلام السعودية عاد إليه بعد ربع قرن مراجعاً ومستفيداً مما صدر من دراسات ومؤلفات، ومن الوثائق الوطنية في مراكز الوثائق في الداخل والخارج، راصداً تاريخ الإعلام ومراحله مع قراءة لأوجه الضعف والقصور وجوانب القوة والتميز، مُتْبعاً كل فصل بقراءة تحليلية مطولة، وأحياناً يمزج التحليل في سياق المتن، وقد وصف منهجه بأنه "ينحو منحى علمياً في دراسة الإعلام السعودي، ويشخّص حالته تشخيصاً واقعياً بعيدا عن التنظير والخيال؛ ولذلك اختصر كثيراً من هذه المقدمات، وركّز على النظر في مسيرة الإعلام السعودي، من



خلال أبعادها الثلاثة: التاريخية والوصفية والتحليلية، وخلص إلى فكرتين أساسيتين يعدان محور الجانب التحليلي فيه ومحط تركيزه، وهما: ضعف المهنية، ونقص المرونة المالية والإدارية"[2].

كون هذا الكتاب أشمل كتاب في تاريخ الإعلام السعودي إلى حين صدوره هي الميزة الأولى، أما الميزة الأخرى فإن هذا الكتاب هو الوعاء الذي تولّدت منه أعمال المؤلف الأخرى حتى في التراجم والسير.

ويكمل هذا الكتابَ كتابان صدرا بعده هما: "صفحات وثائقية من تاريخ الإعلام في الجزيرة العربية" و"الملك عبدالعزيز والإعلام - دراسة توثيقية لبداية وسائل الاتصال

السعودية" والكتاب الأول نتج عما توافر لديه من وثائق ومعلومات وحين تابعها أغرته بإلقاء محاضرات عن موضوعاتها ثم جمعها في هذا الكتاب الذي صدر في طبعته الأولى في الرياض عام ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م في (٣٤٦) صفحة.

أما الكتاب الثاني (الملك عبدالعزيز والإعلام) فهو دراسة توثيقية لبدايات وسائل الاتصال السعودية، صدرت طبعته الأولى في الرياض ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ويقع في (١٧٥) صفحة.

ولقي تاريخ التلفزيون تركيزاً أكثر منه، فهو لم يكتف بما سبق، بل تناوله في كتابين: أولهما: قصة التلفزيون، وهو تاريخ لنشأة التلفزيون الحكومي ما بين عامي ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م - ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م، وهي الفترة التي أسهم فيها في نشأة التلفزيون وإدارته، والكتاب تفريغ لمقابلات تلفزيونية في سبع حلقات أجريت معه في القناة الثقافية السعودية وعرضت الحلقات تباعاً عليها بدءاً من ١٤٣٣/٦/٢٧هـ، ١٨/مايو ٢٠١٢م، وأتاح له تفريغها وطباعتها تدارك ما أمكن من المعلومات الناقصة[٨]، وصدر الكتاب في طبعته الأولى في الرياض عام ١٤٢٥هـ/٢٠١٤م. وثاني الكتابين هو كتاب "مشيناها - حكايات ذات" فيما كتبه عن سيرته في الإعلام بشكل عام وهي أطول ما في السيرة إذ بلغت (١٢٦) صفحة، حاز التلفزيون منها قدرا كبيراً[٩].

على أن العمل الذي لم يصدر، ولا أعرف إلى أي مرحلة وصل فيه فهو "موسوعة وثائق الإعلام"، وقد أشار في كتاب "موجز تجربتي الإعلامية" إلى أن الانشغال بالمحاضرات في المناسبات والمواسم الثقافية أدى إلى تأخير هذا المشروع، حيث كتب فيه "وكتاب من أربعة أجزاء بعنوان (موسوعة وثائق الإعلام) وهو مشروع مرتقب يعرض ويشرح خزينة الوثائق الخاصة التي تم جمعها من مختلف المصادر منذ مرحلة الدراسات العليا"[١٠].

* عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وعضو سابق بمجلس الشورى بالمملكة.

(١) مشيناها... حكايات ذات، ط١، ١٤٤٠هـ/٢٠١٨م، الرياض، ص٨.

(٢) الخميسية: هي الندوة الأسبوعية التي تعقد في منزل حمد الجاسر إبان حياته واستمرت في الموعد نفسه بعد وفاته، وكانت تصدر نشرة بعنوان "الخميسية" فلما تغير اسم الخميسية إلى "مجلس حمد الجاسر" وصار موعدها يوم السبت تغير اسم النشرة إلى "جسور" وأعداد الخميسية وجسور على موقع حمد الجاسر http://hamadaljasser.com/.

(٣) مشيناها (سابق) ص١٣.

(٤) مشيناها (سابق)، ص٣١٤ - ٣١٦.

(٥) أعلام بلا إعلام، ج١، ط١، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، الرياض، ص١١ - ١٤.

(٦) انظر مقدمة المؤلف من ص١٣ - ١٩.

(٧) المقدمة ص١٦.

(٨) انظر مقدمة الكتاب ص٧ و ٨.

(٩) "مشيناها" (سابق) ص١٠١.

(١٠) موجز تجربتي الإعلامية، ط١، الرياض ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م ص١٦.

عبدالرحمن الشبيلي:

تمنيتُ أن أمتلك المقدرة على كتابة الرواية لأصوغ بها سيرتي

■ إبراهيم العوامرة*

أن يكتب الدكتور الشبيلي سيرته يعني أن الخوف قد مكث في روحه، فهل خاف على ما يعرفه، أو كان وفيّاً لما حاكته السنون في عباءة أيامه؛ ليقدم للقارئ مرويته المليئة بالأحداث والطموحات والإنجازات.

أنت تلك السيرة التي نالت تفاعلا كبيرا من قبل مجايليه والأجيال اللاحقة، بل شكّل أنموذجًا للعمل واستثمار الوقت في فِعل الحياة بكل تناقضاتها؛ فقد دوّن ذلك الصراخ الساكن في أعماقه في كتاب "مشيناها" كيراع يسير ليكتب بحبر الذكريات ما وقع عليه وما فعله هو في حياة لم تعاني من فراغ قط! فتذكّر ودوّن واستشار فيما كتب ليقدم ذاته صافية من كدر الدنيا، مدركا أن ما يكتبه الآن هو ماضٍ سيتحولُ الى قيمةٍ ذهبيةٍ للناس فيما بعد!

فملاحقة صراخه الداخلي في كتابة سيرته، إنما يؤثّثُ منجما من الذكريات والأحداث والمواقف التي تعودٍ بقارئ كتابه إلى ماضٍ جميل يدركه القارئ في تصور تلك المواقف وأماكن حدوثها؛ فالسيرةُ كشفٌ واعترافٌ بجزيئيات تكون في بعضها صادمةً، وفي مواقع أخرى ماتعةً؛ لامتلاكها مكاشفات لذيذة؛ تلك المكاشفات هي محض كشفٍ نفسيٍّ وذاتيٍّ يقوم على البوح الحذِر في بعضه.. والمنثال في مواقع أخرى. فهي حصيلة تأملات وخبرات تراكمت في حقيبة الذات الساردة، ومجازفة في الانفتاح على الخاصوص وجعله مشاعا للقارئ، جهرٌ وبوحٌ لتوصيل فكرةٍ ما، فكرة تشوبها صدقية عالية، وأذكر هنا ريادة جان جاك روسو الذي كتب أول كتاب في السيرة الذاتية بعنوان "اعترافات"، والذي لاقى نجاحات كبيرة في دول أوروبا وخارجها، كما لاقى قدراً كبيراً من النجاح في قارّة أوروبا وخارجها لإسهامه في تحريك مشاعر القرّاء فيما يخص الانفتاح والمكاشفة الجريئة، التي تصل الى محاسبة النفس.

وانتقلت السيرة الذاتية إلى اللغة العربية على يد طه حسين في كتاب الأيام، ثم توالت لذاذات السيرة، لتنتشر بين المفكرين والسياسيين والأدباء.

فحين يكتب الكائن سيرته بالضرورة أن يكشف عن أسرار كانت نائمة في جوارير خزانته الخاصة، تلك الخزانة التي كان يحمل مفتاحها في قلبه، ليحبّر رواية الذات التي كانت تروي أنهارًا من الحبر في دفاتره، عبدالرحمن الصالح الشبيلي المولود في القصيم، عنيزة سنة "١٩٤٤-٢٠١٩م" هو علامة ناشطة في الثقافة والإعلام، وكان شغوفاً في تأسيس مؤسسات تسهم في الوعي

المجتمعي والثقافي، إذ أسهم في تأسيس إذاعة الرياض وتليفزيونها، وقدّم الكثير من البرامج التلفزيونية والمقالات والكتب.

سيرةٌ مليئةٌ بالطموح والعمل.. فقد حصل على الدكتوراه في الإعلام من جامعة أوهايو سنة ١٩٧١م ليكون أول سعودي يحصل على الدكتوراه في الإعلام، وعمل عضواً بمجلس الشورى في السعودية اثنتي عشرة سنة لثلاث دورات متتالية، وعضواً في المجلس الأعلى للإعلام. ونال وسام الملك عبدالعزيز من الدرجة الأولى، وجائزة الملك سلمان لخدمة التاريخ الشفوي وتوثيقه، ولديه نحو (٥١) مؤلفاً.

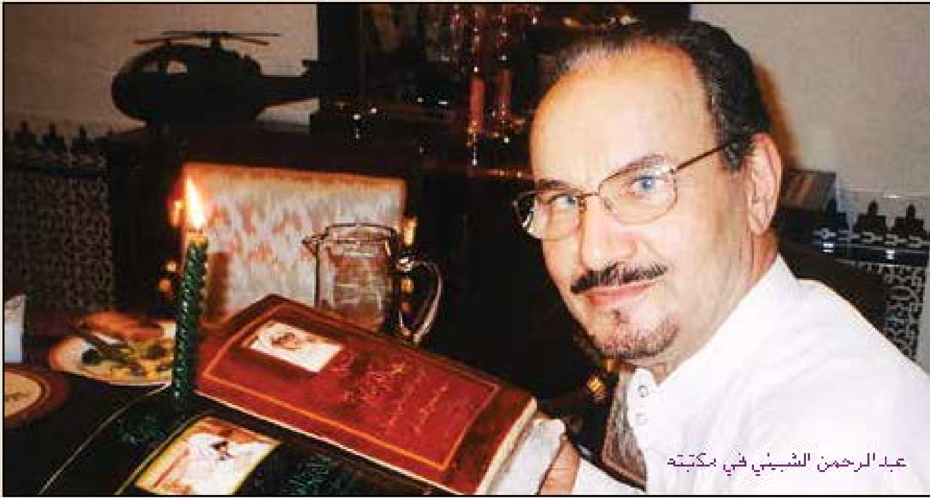
فهذا الامتداد العميق في الحِراك الإعلامي والثقافي والتعليمي يجوز له أن يرتكن إلى ذاته؛ ليروي لنا تفاصيل مشفوعةً بالصدق والأدب؛ لتشكل تلك السيرة مناخاً مليئاً بالبياض، ولذة السريرة وآلامها كذلك.

شكّلت رحلته المتنوعة في الإعلام والأدب والتعليم مجالاً واسعًا في تأسيس مرجعيات وازنة للإعلام السعودي، من تأليف وتخطيط ودراسات أكاديمية، رحلة امتدت على مدار أكثر من خمسة عقود، تشعّبت لتنهل من العلم جوهره بما يفيد بلده والأجيال التي تليه. لقد هَوَتْ الشرفة الباريسية به قبل أن يكمل روايته، رحل عن عمر يناهز خمسة وسبعين عاما ولم يزل في فمه الكثير من الكلام، فكانت أمنيته في كتابة الرواية لم تتحقق بعد، لكنه روى ذاته عبر منجزٍ واضحٍ لا لبس فيه، فمن درس وتتبع سيرته يدرك مباشرة أن الشبيلي لم يكن لديه وقتٌ للفراغ، فكان منشغلاً بالعمل والطموحات العريضة التي لا تنتهي.

كان لكتابه "مشيناها.. حكايات ذات" مادة مهمة للتعرف عليه من الناحية الإنسانية، إضافة إلى حياته العلمية والمهنية؛ فهو كاتب السيَرة التي استهوته كجزء من سردية الحياة المليئة بالمفارقات، إذ سجّل عددًا من السِيَر لرموزٍ سعودية لها قدرها ومكانتها. "مشيناها.. حكاياتٍ ذات" هو هويته الذاتية التي رشحت من قلمه بكل لحظة من حياة محكومة بقلق الإبداع والإنجاز؛ وقد تعلّم الإنجليزية والفرنسية إضافة إلى لغته العربية؛ لكي يطلع على معارف مختلفة تفيده في حياته المهنية والأدبية، وفي برنامجه "حديث الذكريات".. إشارة واضحة على شغفه في سرد الماضي وتجلياته الإنسانية والعملية.

ومن أهم كتبه في الإعلام: " إعلام وأعلام"، و"الملك عبدالعزيز والإعلام"، و"نحو إعلام أفضل"، فهو رائد البدايات ومؤسسها، كما لو أنه يتسابق مع زمن خاف أن يتفلت منه، المستشرف في تفكيره والمبتكر في رؤاه، فلم تزل أفكاره مثل نسغ يسري في الحياة الإعلامية السعودية والعربية، بل هي مدار حكايات بين السياسيين والمثقفين.

هذا الاحتراق في كتابة السيرة هو بمثابة القلق المُر الذي يجتاح الشبيلي ليقدم.. ليفتح صندوقه الخاص للعامة، وقد تأثرت سيرته عبر شغفه الكبير بفعل كل شيء، فكان يرى أن الحياة قصيرة جدًا.. فلا بد من سباق يومي معها كي يحقق آماله، فكان لصوت الحياة العالي في رأسه مدعاة ليمسك بناصية القلم ليدوّن صراخه الداخلي، فكان يدرك تماما أن ما يكتبه الآن هو بمثابة شهادة له ستتحول إلى أحاديث حول رحلته، إن ملاحقتة لهذا الصراخ، إنما يخلق ينبوعًا سيسقي من بعده قوة الإنجاز، بل تدعوهم للمجازفة


عبدالرحمن الشبيلي في مكتبته

في خوض غمار الحياة رغم صعوباتها، وتدفعهم إلى المغامرة بالكشف عن دواخلهم وخصوصياتهم فيما بعد.

فالسيرة وسيلة للتدوين المضمر لخلق مساحة من البوح الثمين، الذي ما يزال يتكشف أمامنا لنغترف من معينه الحِكَمَ ومصائر الحياة، تماماً كاعترافات الشاعر ميمون الأعشى بتجربته في الحب.

لم يسعفه العمر كي يكمل سردياته الثريّة بتنوعها، رحل وفي فمه كثير الكلام والذكريات؛ فلم يشتمل الكتاب على كثير من المواقف السياسية والإنسانية، فقد بقيت تلك الأسرار في داخله، ليرحل وفي قلبه الكثير من المواقف، وكانت شرفته في باريس التي كان ينظر عبرها الى العالم سبباً لنهايته المؤسفة.

لم تأتِ هذه السيرة صدفةً، فقد كان جادًا منذ طفولته فيما يخص التزامه في الدراسة، فهي بذرة طيبة منذ الطفولة.. والتي نمت لتصبح علامة من علامات الإعلام السعودي، وكان لعائلته الدور الأكبر في نجاحه واستمراره في إنجاز الكم الهائل من النجاحات الكبيرة. كما أنه لم يخلد للكتب التي ألّفها، إذ أسهم في اللقاء الشهري الذي كان يُعقد في مكتبة الملك عبدالعزيز، والذي اشتمل على مناقشات ومداخلات حول القضايا الإعلامية والأدبية الثرية.

واختتم الدكتور الشبيلي بالقول:

"لم أجد أركان السيرة الذاتية كافية لما أكتب، وتمنيتُ لو صيغ الكتاب بطريقة (الرواية)، تمنيت أن أمتلك المقدرة على كتابة الرواية، لكن أركانها لم تكن متكاملة عندي ولا أسلوبها ولا طريقتها الفنية".

حاولتُ أن تصور مرابع النشأة، وبيئة الدراسة، وظروف الزمن، وأن تبوح بالممكن من مكنون الصدر، فأبقتْ بعد ذلك طيَّ الكتمان ما هو أكثر.

---

* كاتب من الأردن.

إطلالةٌ على خُطى الدكتور عبدالرحمن الشبيلي:

قراءةٌ في سيرته الذاتية (مشيناها)*

■ د. عبدالله بن عبدالرحمن الحيدري**

ولد د. عبدالرحمن بن صالح الشبيلي في مدينة عنيزة بالقصيم عام ١٣٦٣هـ/١٩٤٣م، وتلقى تعليمه الابتدائي والمتوسط والثانوي بها، ثم التحق بكلية اللغة العربية بالرياض وحصل منها على الشهادة الجامعية عام ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م، ثم نال شهادة جامعية أخرى من جامعة الملك سعود، تخصص جغرافيا عام ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م، ثم واصل دراسته العليا وهو على رأس العمل في وزارة الإعلام، فحصل على الماجستير في الإعلام من جامعة كانسس عام ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م، وعلى الدكتوراه في الإعلام من جامعة أوهايو الأمريكية عام ١٣٩١هـ/١٩٧١م. تولى مناصب عديدة في وزارة الإعلام، وفي وزارة التعليم العالي، ثم عين عضوًا في مجلس الشورى عام ١٤١٤هـ/١٩٩٤م وحتى عام ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م. له مجموعة من المؤلفات، أبرزها: محمد الحمد الشبيلي[١]، ونحو إعلام أفضل، وأعلام وإعلام، وأعلام بلا إعلام، وقصة التلفزيون، وغيرها[٢]، وآخر كتبه صدورًا سيرته الذاتية "مشيناها: حكاية ذات" التي صدرت عام ١٤٤٠هـ/٢٠١٨م.

انتقل إلى رحمة الله في شهر ذي القعدة من عام ١٤٤٠هـ الموافق لشهر يوليو من عـام ٢٠١٩م عن عمر نيّف على السابعة والسبعين، رحمه الله رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته[٣].

وقد منحته الدولة بعد وفاته بأمر ملكي وسام الملك سلمان من الدرجة الثالثة، وكان ذلك في شهر المحرّم من عام ١٤٤١هـ (سبتمبر ٢٠١٩م)[٤]، وأحدثت وفاته صدى كبيرًا في الوسط الثقافي، ورثاه عديد كبير من الكتّاب والمثقفين والشعراء، من بينهم الشاعر عبدالله بن سالم الحميد الذي كتب فيه قصيدة وظّف فيها عنوان سيرته الذاتية "مشيناها"، فقال:

مشيناها، وتسبقُنا خطاكا
وتنسكبُ المشاعرُ في ثراكا

فُجعْنا حين ودّعَنا طلال
وأجهش قلبك الشاكي ارتباكا

وفاضتْ عينك الحرّى لهيبًا
وحار الفكْر في الذكرى اصطكاكا

تغادر لُلمصيف بلا وداع
ونبحث عن نسيج من رؤاكا

فتنْبئنا بأنّك مستريح
بعيداً، كي تُخفّف من عناكا

أضاأتَ حياتنا بندى حضورٍ
وإبداع تُطرّزهُ يداكا

وأشْعلْتَ الحنين بنبض شوقٍ
وإيثار لصحبك في لقاكا

رسائلك المضيئةُ أرّقتْني
وأحرفك البليغة إذْ تباكى

وعينُ شقيقك الحزْنى فراقًا
وعين حبيبك الأغلى - دعاكا[٥]

مشيْناها: حكاية ذات..

كشف د. عبدالرحمن الشبيلي رحمه الله في ندوة أُقيمت عن الكتاب في مكتبة الملك عبدالعزيز العامة في شهر جمادى الأولى ١٤٤٠هـ (يناير٢٠١٩م) عن العنوان القديم للكتاب، وهو "عمر بلا فراغ"، وقال: إنه عدل عنه بعد التشاور مع بعض أصدقائه[٦].

وأما العنوان الذي طبع الكتاب به، وهو "مشيناها: حكاية ذات" فهو مأخوذ من بيت شعري، وهو:

مشيْناها خطى كُتبتْ علينا
ومن كُتبتْ عليه خطى مشاها

والبيت لعبدالعزيز الدريني، وقيل لأبي العلاء المعري، وأورده الشبيلي في مقدمة سيرته ومعه بيت آخر شهير، وهو:

ومنْ كانت منيته بأرضٍ
فليس يموتُ في أرضٍ سواها[٧]

وتقديم الشبيلي لاسم الدريني على اسم أبي العلاء يدل على أنه الأرجح لديه، وهذه النسبة هي الأقرب.. إذ قرأتُ في بعض المواقع الإلكترونية ما يلي: "رغم أن هذين البيتين يُنسبان أيضًا لشعراء آخرين، فإن أقدم من نُسب إليه هذا الشعر هو عبدالعزيز الدريني"، وهو شاعر مصري، وعاش في القرن العاشر الميلادي.

وعندما نربط بين وفاة الشبيلي رحمه الله خارج وطنه في باريس في حادث أليم بمنزله، وهذين البيتين نعجب أشد العجب وكأنه كان يتوقع نهايته؛ ومن هنا، فقد استوقف العنوان ووفاته المفاجئة العديد من الكتّاب الذين رثوه، ومنهم د. محمد العوين الذي قال: "صدّر الفقيد د. عبدالرحمن الشبيلي رحمه الله سيرته الذاتية العصامية (مشيناها) ببيتين أراد الاستشهاد بالبيت الأول، بيد أن المعنى كان يستوجب اتباعه بالبيت الثاني، فكان كالنبوءة الخفيّة بما سيأتي، وكأنه يتوقع أو ينتظر قدرًا لم يعلمه إلا الله وهو وفاته بباريس"[٨].

على أن الشبيلي مسبوق في هذا العنوان، وإن لم يكن مطابقًا تمامًا، فلقد سمّى عباس خضر (ت١٤٠٧هـ/١٩٨٧م) كتابًا له بعنوان "خطى مشيناها"[٩]؛ وسمّى رؤوف عبّاس (ت١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م) سيرته الذاتية "مشيناها خطى"، وصدرت في القاهرة في عام ٢٠٠٤م؛ وربما كان الشبيلي على علم به فاقتصر على كلمة "مشيْناها"، وأضاف لها عنوانًا شارحًا، وهو "حكايات ذات"، مستفيدًا من حمولات كلمة "مشيناها" إذ تستدعي مباشرة لدى القارئ البيت الشعري كاملاً:

مشيْناها خطى كُتبتْ علينا
ومن كُتبتْ عليه خطى مشاها

وأول ما يستوقفنا في هذه السيرة المقدمة.. إذ تكشف أسباب الكتابة ودوافعها وظروفها؛ ولذلك نراه يقول: "كانت ترده مع كل مؤلَف يصدره دعوات محبين بأن الأوان

قد حان لمثلها، وصار بعضهم يقول: اكتبها واتركها للزمن؛ كناية عن أنَّ المعنيَّ بها صار يسبح في خريف العُمُر"[10]، وتكشف المقدمة كذلك عن قراءات مكثّفة في بعض الأعمال السيريّة التي صدرت لدينا أو في العالم العربي، إذ نراه يدوّن ملحوظة على بعض الأعمال التي اطلع عليها في هذا المجال، وأنها ظهرت غير ناضجة، ويصفها قائلاً: "يستغرب اكتظاظ معارض الكتاب بسير غير ناضجة للعديد من المستعجلين، فالسير الذاتية أمانة تدوين وضمير ومسؤولية توثيق"[11].

ويصف عمله بأنه نحا فيه منحىً مغايرًا لما درجت عليه بعض سير المشاهير في العالم حين يجلس إليه محرر فيدون حديثه تسجيلاً أو كتابة، ثم يعيد صياغتها، وهو أمر مألوف على مستوى العالم لمن يملك الشهرة والتأثير ويفتقد القدرة على الكتابة الجيدة، أو ليس لديه وقت للكتابة، ومن هنا رأيناه يقول: "انسابت هذه الحكايات من الذاكرة دون وساطة من محرّر يحوّل الحديث إلى نصٍ مكتوب، أو طرفٍ يطرح السؤال ويدوّن الجّواب"[12].

كما نلحظ بدءًا من المقدمة، وفي معظم صفحات الكتاب حضور شخصية المؤلف كما عرفناها: شخصية ودودة متواضعة قريبة من النفس؛ لذا نجده يقلّل من شأنه ويعتذر عن الحديث عنها ويتوجس خيفةً من الثناء عليها دون قصد، وعن هذه الجزئية يقول: "المرجو ألاّ تكون الصفحات وهي تنداح بالذكريات وقعت عن غير قصد في حديث عن النفس، أو انزلقت في ثناء عليها، أو بتقرير أحكام مجحفة على الغير، أو ارتكبت محذورًا يُنافي الشيم بحديث لا يليق.."[13].

ويعترف بأنه أسقط حوادث عاشها وعايشها عمدًا؛ لأنه رأى محاذير في روايتها وقص أحداثها؛ ومن هنا، رأيناه يقول: "لم تكن هذه الذكريات كل ما يمكن سرده..، فهناك مواقف سياسية أو إعلامية عدّة لم تشملها الرواية؛ لأن الإفصاح عن تفاصيلها كان مما سيؤدي لا محالة إلى التصريح بأسماء وأسرار تتعلق بالغير، لا يُحمد كشفها"[14].

وهذه النقطة تؤكد أن الأعمال السيرية بشكل مجمل لا يمكنها رصد أحداث الحياة كاملة، بل لا بد من الانتقاء والاختيار بما يتناسب مع الظروف المحيطة بكاتب السيرة.

وتواضُع الشبيلي أسهم في عدوله عن الحديث عن نفسه بضمير المتكلم، إلى الحديث إلى القارئ راويًا الأحداث بضمير الغائب، وكأنه يقص سيرة شخص عرفه حق المعرفة وبينهما صحبة وصداقة حميمة؛ لذلك ترددت في السيرة كلمة (صاحبنا)، يقصد نفسه، ومن النماذج على هذا الاتجاه لديه قوله: "كان صاحبنا حتى تجاوز الخامسة عشرة يجالس والده في دكّانه في غير وقت الدراسة، ويعينه في التواصل مع الزبائن، ويتعامل نيابة عنه مع أصحاب الدكاكين، ويحرس البسطة وقت غياب الوالد للقيلولة ولصلاة الظهر"[15]، ومع ما في هذا الأسلوب من بُعد عن الأنا التي قد تبدو منفّرة لبعض القراء، فإنها قلّلت من مركزية حضوره في السيرة.

وإذا كانت سيرة الشبيلي "مشيناها" الكتاب الأخير له بعد سلسلة من الكتب التي تناولت تاريخ الشخصيات وتاريخ الإعلام

مثل: صالح العبدالله الشبيلي: حياته وشعره، والسفير محمد الحمد الشبيلي، والإعلام في المملكة، وأعلام بلا إعلام، وغيرها؛ فإنه بدا في هذه السيرة متأثرًا بأعماله السابقة وبما تتطلبه من توثيق دقيق وحضور للتواريخ، وهذا ليس بالغريب إذ السيرة بوصفها جنسًا أدبيًا "تشبه التاريخ في حاجتها للتحرّي والصدق، وفي اعتمادها في بعض الأحيان على الوثائق والمدوّنات"[١٦].

ومن هنا، وجدنا الدكتور الشبيلي رحمه الله حريصًا على توثيق كل الأحداث التي يتذكرها بالتاريخين الهجري والميلادي، وأحيانًا بتاريخٍ تقريبيّ، أو يحاول أن يقدر الزمن، وهذا بتأثير من ممارسته في التأليف والكتابة الصحفية التي اعتمد فيها على التاريخ منهجًا وطريقة، ومن الأمثلة قوله: "كانت الولادة على الأرجح مساء السابع من شوال عام ١٣٦٣هـ (١٩٤٤/٩/٢٣م) تزيد عامًا أو تنقص مثله"[١٧]، ثم يحلّل اختياره لهذا التاريخ مستندًا إلى روايات شفوية سمعها من والدته إذ يقول: "فأما اليوم والشهر فمؤكدان بموجب معلومة مصدرها الوالدة، فهي تذكر أن الولادة مكّنتها من صيام ست من شوال، وأما العام فهو مبنيّ على قرينة تجديد جامع عنيزة بحسب الوالدة أيضًا"[١٨]، وهو عام ١٣٦٣هـ.

وأما الأحداث التي عاصرها وشهدها بنفسه فهي موثقة بتواريخ يجزم بها مثل قوله: "أقامت وزارة المواصلات حفلاً رعاه الملك فيصل في عام ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م لافتتاح طريق الرياض الطائف"[١٩]، وقوله: "تم الزواج ليلة المغادرة للبعثة (١٣٨٧/٥/١٥هـ/١٩٦٧/٨/٢٠م) في منزل الأخ الأكبر عبدالرحمن.."[٢٠].

وفي إطار اهتمامه بالتاريخ والتوثيق، نجده يصف وزارة الإعلام بأنها أصبحت ومنذ عقود "لا تهتم بقضية التوثيق، وتعطي الأولوية للمطبوعات ذات الصبغة الإعلامية والدعائية بشكل عام، ولكن الكتب التاريخية نادرًا ما تصدر"[٢١].

كما أسهم اهتمامه بالتاريخ وبالتوثيق في مراعاة التدرج الزمني في قص الأحداث ورواياتها، وجاءت موضوعات الكتاب منطقية في تسلسلها وترابطها، وجاءت موجزة وتتناول جوانب متعددة، واقتصر على ثمانية عناوين رئيسة فقط لكامل الكتاب، وهي: الصنقر، والعزيزية، وبين جامعتين، والإعلام، والتعليم العالي، ومجالس، وتوثيق، وذاتيات، كما حفل الكتاب بملحق تضمن صورًا عديدة له ولأسرته؛ مما أضفى على الكتاب قيمة أخرى، وهي الربط بين الأحداث والصور.

وتحفل سيرة عبدالرحمن الشبيلي "مشيناها" بجوانب مما يسميه نقاد السيرة الذاتية "بلاغة السيرة"، والبلاغة هنا في هذا السياق "لم تعد تقترن بالبعد الزخرفي للكلام"[٢٢]، وإنما تعني في دلالتها المعاصرة لدى نقاد السيرة الذاتية تحديدًا تشخيص الذات وبناء هُويّتها، وبناءً على ذلك تصبح هذه الملامح في السيرة الذاتية "عمود بلاغة السيرة الذاتية وتميّزها"[٢٣].

وربما أبرز موضع ظهر فيه هذا الملمح، حديثه الصريح عن والدته وأصولها، وأن والده تزوجها بعد طلاقها من أحد أسر عنيزة، وأنها تعود إلى أصول تركية، وأنها

قدمت إلى المملكة بالقطار من آسطنبول مرورًا بالقريات حتى وصلت إلى عنيزة وهي صغيرة السن، وطالب بالكشف عن الظروف التي واكبت جلبهن من بلاد بعيدة إلى المملكة فقال: "لم يوثّق أحد من الباحثين الظروف التي آتت بأمثال هؤلاء النسوة من بلادهن حتى تحوّل بعضهن إلى جوارٍ يُتاجر بهن، مع أنهن في الأساس أحرار مختطفات أو سبايا حروب.."(٢٤).

ونقف في السيرة على جوانب من البوح عمّا تعرض له في وزارة الإعلام من منغصات وإحباطات ظهرت في مواقف عديدة، ومنها: تسجيل حلقات من برنامجه "شريط الذكريات"، وإيقاف عرض معظمها دون مسوّغ مقبول(٢٥)، وإيقاف برنامجه "حديث الأصدقاء" بعد بث حلقات قليلة، وعن البرنامج الأخير يقول: "بقيت القصة غصة في نفسه، لما قوبل به اجتهاده وماضيه من تعامل أشعره بعدم التقدير، وانتهى بإجراء شابه اللوم بدلاً من أن يشاد بموقفه"، ويعود بعد مرور السنوات فيسامح من تسبب في ذلك حين يقول: "فسامح الله من سارع بالوشاية دون تفهم الظرف"(٢٦)، ولكن ظلت هذه المواقف مؤثرة في نفسيته الحساسة إذ نراه بعد ذلك يقول عن نفسه: "خرج من سنوات العمل في وزارة الإعلام صفر اليدين"(٢٧).

ومن هنا، يمكن القول: إن من دوافع الكتابة السيرية لدى الدكتور عبدالرحمن الشبيلي رحمه الله التنفيس والدفاع عن النفس.

وبعد، فهذا العمل الذي قدّمه الدكتور عبدالرحمن بن صالح الشبيلي إلى المكتبة العربية عمل جدير بالاهتمام والتقدير، ويعد من أفضل الأعمال السعودية في حقل السيرة الذاتية، وتوافرت له عوامل النجاح إذ كتبه صاحبه في سن تكاملت تجاربه وخبراته وأعماله، وبلغت قدرته التأليفية أوجها وقوتها بعد أن طبع كتبًا عديدة قبله تشترك معظمها في حقل واحد، وهو حقل السيرة بمفهومها الواسع، وكان أن حظي الكتاب بمقروئية عالية، وكان مجالاً لبعض الدارسين والكتّاب الذين تناولوه معجبين به مادة وأسلوبًا وإخراجًا، ومن أهم القراءات التي كُتبت عنه: محاضرة الأستاذ حسين بافقيه في نادي جدة الأدبي، ومقالة د. محمد الرميحي المنشورة في جريدة الشرق الأوسط، ومقالة د. محمد العوين المنشورة في جريدة الجزيرة، ومقالة الأستاذ أحمد العسّاف، ومقالات أخرى ليس هذا مقام حصرها.

رحم الله فقيدنا الدكتور عبدالرحمن بن صالح الشبيلي رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته.

المصادر والمراجع

أولاً: الكتب:

١. أعلام بلا إعلام، د. عبدالرحمن بن صالح الشبيلي، الطبعة الأولى، الرياض: المؤلف، ١٤٣٨هـ/٢٠١٧م، الجزء الثاني.

٢. بلاغة السيرة الذاتية، إعداد وتنسيق: د. محمد مشبال، الطبعة الأولى، عمّان: دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ١٤٣٩هـ/٢٠١٨م.

٣. السيرة الذاتية في الأدب العربي، تهاني عبدالفتّاح

رسالةٌ من تلميذٍ لمُعَلِّمِه

■ د. علي بن دبكل العنزي*

التقيت بالمرحوم الأستاذ الدكتور عبدالرحمن الشبيلي عام ١٤٠١هـ، كنت وقتها طالبا في جامعة الملك سعود، أدرس الإعلام، إذ درّسنا في ذلك الوقت مادة الإعلام السعودي، وكان وقتها وكيلا لوزارة التعليم العالي. ومنذ اللحظة الأولى التي دخل علينا في المحاضرة أسرنا بلطفه وأخلاقه الراقية، وهو يتحدث معنا بكل لطف واحترام وبصوته الخافت؛ فكنا نستغرب كيف لهذه القامة الكبيرة في الإعلام والتعليم أن يتحدث مع طلاب سنة أولى جامعة بهذا التواضع، وصرنا نشتاق لمحاضرته وهو يسرد لنا قصة الإعلام السعودي وقصته هو مع هذا الإعلام، وعمله بالتلفزيون قبل أن يُبتعث لنيل شهادة الدكتوراه في الإعلام، ويصبح أول دكتور سعودي في هذا المجال. كنت أرى فيه المنهج الذي يتحدث من قلب التجربة وتحديات العلم. لقد كانت علاقتي في بدايتها هي علاقة طالب بأستاذه الذي يعدّه أنموذجًا له، واستمرت حتى أصبحت علاقة صداقة وأخوّة.

الفَقْدُ أمرٌ قاسٍ يغرب النفس ويتغرب بها، شيء لا يستقر في وطن، ولا يسكن مع الأهل والأصحاب؛ فغياب الشبيلي بهذه القسوة على محبيه أمر جلل؛ إلا أن الراحل الجميل يستعصي على هذا الغياب، فحضوره قصة بناء لا تنتهي عند عمر أو تغيب بموت، فهذا المشوار الطويل من الإبداع والجهد والتعب أنتج جمالاً أبدياً. فالراحل له باعٌ طويل في هذا الحقل من خلال عمله في التلفزيون، وأصبح مديراً عامًا له، ومن خلال بصماته التي تركها على هذا الجهاز قبل انتقاله لوزارة التعليم العالي والعمل فيها، وفي المجالين كانت له بصمات واضحة جداً؛ ما جعل الجميع يثني عليه. لقد تعززت العلاقة بيني وبين الشبيلي يرحمه الله من خلال مركز عبدالرحمن السديري الثقافي، فقد كان حاضراً في فعالياته الثقافية، سواء في الجوف والغاط، وكذلك مشاركته في الإشراف على كتاب سيرة عبدالرحمن السديري أمير منطقة الجوف (الأسبق)، وتقديمه لهذا الكتاب. لقد كان صديقاً للجميع، ومستمعًا جيداً لكل الآراء خلال الفعاليات التي يشارك فيها.

كان اللقاء المؤثر الذي جمعني بأستاذي القدير في عام ٢٠٠٨م وضمن فعاليات قمة أوبك الثالثة في الرياض، فقد طلب مني صاحب السمو الملكي الأمير عبدالعزيز بن سلمان بن عبدالعزيز، وزير الطاقة، إدارة فعاليات البرامج المصاحبة للقمة، وكان البرنامج يتضمن دعوة عدد من الأشخاص المعروفين من كل دولة من دول منظمة أوبك، سواء كانوا وزراء سابقين أم أمناء سابقين للمنظمة أم رؤساء تحرير، لزيارة مختلف مناطق المملكة قبل انعقاد القمة بأسبوع،

وبعدها يحضرون القمة، وفكرة الأمير عبدالعزيز هو أن يتعرفوا على ثقافة المملكة وتاريخها وتطورها، وإطلاعهم على كيفية استثمار دخل البترول في تنمية الدولة. وكان من ضمن الأشخاص الذين يمثلون المملكة د. عبدالرحمن الشبيلي إضافة إلى عدد من زملائه: د. عبدالله العسكر رحمه الله، والدكتور يزيد العوهلي، ود. محمد الجفري رحمه الله، ود. إحسان أبو حليقة، والدكتورة نورة اليوسف، والأستاذ منير العكاس، وكان لوجود د. عبدالرحمن الشبيلي الأثر الكبير في نجاح مهمتنا في الجولة على مناطق المملكة، كما أنه كان من ضمن الذين أسهموا في وضع ذلك البرنامج. لقد كان يمثل الأخ الكبير للجميع في تلك الرحلة، يشجعنا في عملنا خلالها، يُثني على الجميع ويتحاور مع الضيوف ومع الزملاء القائمين على البرنامج، حرصا منه على نجاحنا ونجاح الوطن.

واستمرت اللقاءات مع أستاذنا القدير المرحوم عبدالرحمن الشبيلي من خلال مؤلفاته التي يرسلها لنا، ولقاءاته في النادي الأدبي، وفي كل المناسبات التي يتاح لنا حضورها ويكون هو طرفاً فيها.

مَن ينظر ويقرأ سيرته وتاريخه يقف حائراً أمام قدرته على العمل المتواصل في كل المناشط؛ عندما كان رئيس مجلس إدارة مؤسسة الجزيرة للصحافة والطباعة والنشر، وكذلك عندما كان عضواً في مجلس الشورى.. كان محاوراً بارعاً، ومبادراً للعمل من أجل المواطن، لقد كان مخزنا للفكر.. فألّف عشرات الكتب في الإعلام والثقافة، وألقى عشرات بل مئات المحاضرات في مختلف مناطق المملكة؛ فهو في الحقيقة بالنسبة للمتخصصين في الإعلام مدرسة إعلامية تجمع بين الأكاديمية والمهنية، وله تأثير كبير جداً في تاريخ الإعلام السعودي تدريساً وتأريخاً، فقد كان متعاوناً مع قسم الإعلام في جامعة الملك سعود في الوقت الذي كان القسم في أمسّ الحاجة لمثل خبراته، فلم يبخل بعلمه ومعرفته، لقد كان صادقاً في تقديمه للمعلومة؛ ما جعله صاحب سيرة ملهِمة، فلم تتوقف سيرته عند الجانب المهني والأكاديمي، بل امتدت إلى الجانب الإنساني؛ إذ كان عضواً فاعلاً في جمعية ألزهايمر وغيرها من الجمعيات ذات الطابع الإنساني، فلقد سطّر أروع معاني الوفاء عندما أصرَّ على إقامة عزاء الأستاذ ماجد الشبل رحمه الله في منزله. فلا غرابة أن يحصل الراحل على وسام الملك عبدالعزيز من الدرجة الأولى.

وختاما: ترك لنا الراحل نحو (٢٣) مؤلفاً بين السير الذاتية والعلم المتخصص، نتاج عشرات السنين، رصد فيها الراحل مسيرة وطن وقيادة وشعب (حكاية وطن خلق وجوده واستقراره) حتى أصبحت مؤلفات الشبيلي رحمه الله أعلاماً وإعلاماً من الوطن وإلى الوطن.

---

* رئيس قسم الإعلام - جامعة الملك سعود.

الشبيلي صاحبُ الخطوة الواثقة
ومَن كُتبتْ عليه خُطىً.. مشاها

■ د. هناء بنت علي البواب*

الشبيلي وحكاياته الذاتية التي خطها في سيرته الذاتية (مشيناها) والتي صدرها بالبيتين الآتيين:

مشيناها خطىً كُتبت علينا	*ومن كُتبت عليه خطى مشاها*
ومــن كـانـت منـيّـتـه بــأرضٍ	*فليس يموت في أرضٍ سواها!*

أن تكتب عن نفسك ليس أمرًا يسيرًا، وأنت تعلم تماما أن هناك من يتابعك في حياتك.. فكيف حين تغادر الدنيا وتترك خلفك سيرة تحمل مسيرة مختلفة، وهذا ما حدث مع الإعلامي الكاتب عبدالرّحمن الصّالح الشّبيلي، صاحب السيرة الذاتية السعودية: «مشيناها.. حكايات ذات»، والتي صدرت طبعتها الأولى في صفر ١٤٤٠هـ/ نوفمبر ٢٠١٨م، وتوشّح غلافُها بشكل مميز بصورة عميقة لها دلالة مختلفة، وهي صورة «الصّنقر»، وهو معلم تراثي أشبه ببرج المراقبة ومقصورة الحماية، يتجاوز عمره مئة سنة، وفي عام ١٤٠٧هـ شُيِّد عليه مركز ابن صالح الثّقافي.

ولك أن تدرك كيف لرجل مثله أن يتخيّر تلك الصورة عمدًا، ولا يمكن أن تكون سهوا أمام رجل بعظمة تفكيره وصلابة رأيه.

يتكون هذا الكتاب السيروي المؤلم في مسيرة إبداعية مختلفة من مقدّمة، ثمّ ثمانية أقسام، وبعدها كشّاف عام، فملحق صور، وتعريف مختصر بالمؤلف. وكأنه كان يرسم لنفسه طريقا يعرف أنه يمشيه، وأنه سينتهي عنده. وحده عبدالرحمن الشبيلي الرجل القويّ الخطوة، البارع في الإعلام، المتمرّد وقت الغضب، عرف مشي الخُطى، فثبت نفسه على شرفة في باريس لتهوي به وتعيده إلى مسقط رأسه، حيث تراب الوطن الذي سيحتضنه.

وحين تخطو أول خطوة لتمشي داخل الكتاب، تجدك تتعرف على الفترة الزمنية التي قضاها وهو يدوّنه، فقد أشار إلى أنّه قضى سنة ونصف السنة وهو يرسم بقلبه وقلمه هذه الذّكريات؛ ابتداء من رمضان عام ١٤٣٨هـ، وحرص على ألّا يكون سرديًا عاديا، فالتّفرّد سمة جميلة تستحق العناء، وبما أن حياته مجبولة بالعناء والتعب.. حقه أن يرسمها في سيرة مختلفة لا شبيه لها؛ لأنه كان متفردًا ولا شبيه لطريقته وأسلوبه، فجاء كتابه من طراز مختلف بين الرّواية والسّيرة.



يلقي محاضرة في مركز صالح بن صالح الاجتماعي بعنيزة   التسبيم

أخذنا بلغة غريبة بعيدة المدى إلى زاوية الرواية حينًا، وهو يتفنّن في وصف سردي أشبه بسيروائية الكاتب الذي يبني نصه بينه وبين نفسه خطوة خطوة، منذ ان بدأها في وصف مراحل النّشأة والتّكوين، وجعلنا نستعرض المكان في عنيزة مسقط قلبه وهوى حياته وأنفاسها، ونعيش معه ذكريات الوالدين والإخوة، وكيف كان رفيقا وهو يصف فاطمة، والدته الجميلة القلب، رقيقة الحسّ، وأنت تقرأ تشعر وكأنك تعرفها تمامًا، ومع أنّ والدته قدمت إلى عنيزة من بيئة اسطنبوليّة مختلفة، إلّا إنّها استطاعت الاندماج مع عنيزة في لهجتها وعاداتها، ومطبخها، وأنواع تمورها، بل وفي أنساب الأسرة ومصاهراتها، حتى حفظت رثاء زوجها لزوجته الأولى التي توفيت سنة الرّحمة عام ١٣٣٧هـ بقصيدة تقع في نحو مئة بيت.

وتسير مرحلة الحياة به وهو لا يفارق عنيزة، وهو يتحدث عن مسيرته أبداً؛ فهي البؤرة التي تسوق كل الأحداث وكل أسباب نجاحه، ويصف عنيزة التي تحب هؤلاء الحرفيين من أهل البلد، ويتغزّل بنشاط سوق المسوكف، وتطوّع أهله لقراءة البريد وإيصاله، وخلع الضّروس وتجبير الكسور، وكتابة الوثائق والصّكوك، وإطراب العابرين بالقصيد والملّح، ثم يصف ناديًا للأخبار وبخاصّة من القادمين بالطّائرة من الرّياض وجدّة إلى مطار عنيزة المحلي القديم، الذي يعمل به موظف واحد: فيحجز التّذاكر، ويوجه الطّائرات للهبوط والإقلاع، كل ذلك في لغة سينمائية مشهدية معبّرة مختلفة، ولم يغب عنه أبدًا الحديث عن العمل التّطوعي في عنيزة، وعن العمل التطوعي المبكر، وإصلاح بعض الطّرق، ومتابعة تبرّع الوزير عبدالله السّليمان الحمدان بمشروع سقيا الماء، وغير ذلك. وهذا الاهتمام المبكر يفسّر لنا بروز أهل عنيزة في مجال

الأعمال المجتمعيّة والخيريّة والتّطوعيّة.

ولم يتغافل عن المرأة أبداً، كيف ذلك وهو يدور حول أمه التي عاشت لتربيتهم على الرغم من اختلاف تربيتها، وذكر أسماء نساء من عنيزة تزوجهن الملك عبدالعزيز، والملك سعود، وهنّ من كبار عوائل البلدة، كما أشاد بخمس عشرة معلّمة من نساء عنيزة صيّرن بيوتهنّ كتاتيب لتعليم الفتيات قبل بداية التّعليم النّظامي؛ ومن الطّبيعي أن يكثر الحديث عن المرأة في سيرة رجل عاش قسمًا من عمره في عالم الإعلام والثّقافة.

وتسير كثيرا داخل تلك المسيرة المميزة ليُحدثك عن تخرجه في كلية اللّغة العربيّة الذي كان سببا لدخوله إلى عالم الإذاعة، ثمّ الإعلام المرئي والمكتوب، ثم تولى مهمّة تسجيل خطاب العرش بعد العصر في قصر الملك فيصل بالمِعذر في ٢٧ جمادى الآخرة سنة ١٣٨٤هـ بحضور الأمير سلطان، والشّيخ محمّد النّويصر، ود. رشاد فرعون، ود. كنعان الخطيب، ثمّ طار إلى جدّة لإذاعته ليلًا مع نشرة الأخبار.

ثم تقطعك اللهفة للمتابعة بألمٍ ووجع مع مأساة وفاة ابنه طلال، بعد معاناة طويلة غريبة التّسلسل مع المرض، ليقف هناك متأثرًا بعبارات تبكي وأنت تقرأها.

ثم يعود بك سريعًا الى أهم مراحل العمر التي كانت مع التّوثيق والتّأليف، علمًا أنّه كتب بعد بلوغه الأربعين جُلّ إنتاجه، فكان بعيدًا عن الأغراض الوظيفية ومتطلبات التّرقية، وليس له أرباح مادية؛ لكنّ لذة العلم لا يعدلها شيء، وبخاصة بعد أن منحته عضوية الشّورى مزيدًا من الوقت للبحث والقراءة، فالتفت لمكتبته المنزلية ليعمرها .ثمّ تحدث عن كتبه المطبوعة وهي كثيرة، وذكر قصة تأليف أغلبها التي تعود إلى كتابة مقال أو إلقاء محاضرة، والكثير من الأوجاع التي يبثها هنا أو هناك في ثنايا كتابه.

وأنت تغلق آخر صفحات الكتاب تسمع بكل ألم صوته الأجش الضخم بمخارج حروف متميزة لم يعتليها العجز أو كبر السن، وتتخيل أنه ينعي نفسه في آخر صفحات كتابه، فتظهر هناك كلمات مؤلمة:

«تنعي أسرتا الشبيلي وأبا الخيل في مناطق المملكة فقيدها الغالي الدكتور عبدالرحمن الصالح العبدالله الشبيلي، داعين الله جل شأنه أن يتولاه بإحسانه وعفوه ورحمته، ويجعل ما أصابه رفعة لدرجاته ويسكنه عليين...»

وحدها تلك الكلمات التي صدرت عن أسرته هزّت الإعلامي بين نافٍ ومؤيدٍ وداعٍ ومتألمٍ وباكٍ عليه، ليس تمردًا على الموت، بل خوفًا من تصديق الخبر في لحظة يتمسك بها الإنسان بتراثه وأصالته، وهذا الرجل أصالة التاريخ الإعلامي السعودي.

* أكاديمية وناقدة من الأردن.

عبدالرحمن الشبيلي في ذمة الله

■ نواف الراشد*

عرفت الدكتور عبدالرحمن الشبيلي، منذ كنت طالباً بكلية اللغة العربية بجامعة الإمام بالرياض، وكان رائداً من رواد الإعلام، وخصوصاً الإذاعة والتلفزيون، وكان رحمه الله من خريجي الجامعة نفسها التي أدرس فيها؛ ولذا كنت أعده أنموذجاً يمكن أن يحتذى به، وكان أحد طموحاتي آنذاك أن أكون مذيعاً بالإذاعة والتلفزيون، وشغل هو مدير عام التلفزيون ثم وكيلاً لوزارة الإعلام. كانت سيرته رائعة صافية نقية كما كان طيلة أيام عمره لاحقاً، فلم يتغير ولم يتقلب.. بل ثبت على سيرته الطيبة ومبادئه التي يؤمن بها محباً لوطنه أينما عمل. بعد ذلك، عمل في المجلس الأعلى للجامعات، ورئيساً لمجلس إدارة مؤسسة الجزيرة للصحافة، وعضواً في المجلس الأعلى للإعلام، وحسب علمي أنه يتقن العربية والإنجليزية والفرنسية.

ولعل من أهم فترات حياته عملُه عضواً في مجلس الشورى، لمدة اثني عشر عاماً، في فترة كان المجلس بحاجة إلى الرجال الأقوياء والأمناء الذين يبنون القواعد والأساسات لمجلس في منتهى الأهمية، ويمس الوطن والمواطن. وقد ألف مع بعض زملائه كتاباً مهماً عن تلك الفترة، وكان لي شرف أن أعمل معه زميلاً في مركز الأمير عبدالرحمن السديري الثقافي ودار الجوف للعلوم، عضو للجمعية العمومية فيه، ولمدة طويلة، كما قرأت له العديد من الكتب والمؤلفات التي تجاوزت الخمسين كتاباً.

حضرت له العديد من المحاضرات والندوات في الجوف والغاط والرياض، وسعدت بلقاء خاص معه في ملتقى ومتحف نواف الراشد الثقافي بالجوف، الذي جعلته لخدمة المجتمع والأدب والثقافة والتراث، كما رافقته في رحلة بريه من الرياض إلى الغاط ذهاباً وإياباً برفقه بعض الفضلاء والمثقفين، لحضور منتدى الأمير عبدالرحمن السديري السنوي، الذي يقام سنة بالغاط وأخرى بالجوف.

كما حضرت وإياه ملتقى سنوياً يقيمه الشيخ عبدالله المعجب الشريف، رئيس كتابة العدل بالرياض سابقاً، وكان أبو طلال بجواري.. نتبادل الحديث لمدة ساعة ونيّف، سمعت فيها كثيراً من الآراء وعلامات التعجب حول عدد من الأمور الثقافية والاجتماعية.

وخلاصة القول، إنه -رحمه الله- كان صاحب خلق رفيع، وقلم راقٍ رصين، لطيف المعشر، عفيف القلم واللسان، جاداً في حياته وكتبه، ولا يخلو محياه من الابتسامة الصادقة، ورغم هدوئه وصمته كان حاضراً بالكلمة والكتاب والبحث والإنجازات، وقد حصل على وسام الملك عبدالعزيز من الدرجة الأولى، وهو بلا أدنى شك يستحقه.

رحم الله الفقيد الذي كتب سيرته في كتابه "مشيناها"، وصدق د. عبدالواحد الحميد، حين كتب مشيناها.. سطراً سطراً. يقصد قراءة السيرة بتمعّن ودقة، وها أنا ذا أنصح الشباب المثقف بقراءة تلك السيرة الطيبة العطرة والاستفادة منها.

رحم الله الفقيد رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته.

---

* الجوف.

الشبيلي والشورى!*

■ أحمد بن عبدالمحسن العسَّاف**

هل بدأت علاقة الدكتور عبدالرحمن الصالح الشبيلي بالشورى، منذ تعيينه عضوًا في أول دورة بعد تكوين المجلس الجديد عام ١٤١٤هـ؟ الجواب المتبادر للذهن مباشرة أن لا علاقة له بالشورى قبل ذلك! وهو الرّد المنطقي الابتدائي؛ لأنه لا صلة مع غائب!

أما ما أعتقده، فهو وجود علاقات قديمة بينهما، ويستيقن قارئ سيرته التي مشيناها معه من ذلك بتأمل ما يلي:

أولًا: ارتباطه بسوق المسوكَف في عنيزة وهو منتدى أهل البلدة، فيه الأمير والقاضي والتاجر والحرفي والفنان والمتسوق والمسافر والمستخبر والمخبر، ومن الطبيعي أن ينجم عن اجتماع هؤلاء نقاش واختلاف وتداول آراء، والطفل ثمّ الفتى يسمع ويرى ويتعلم.

وتكرّرت التجربة نفسها بعد أن انتقل للدراسة في العاصمة الرياض، وسكن في قيصرية يغدو ويروح إليها كبار التجار، ولمجتمع رجال الأعمال تأثير يتجاوز الاقتصاد، وأحاديثهم لا تبدأ من المال ولا تنتهي عنده؛ ومن ثَمَّ، فهي خبرة مبكرة في مستهل عمره.

ثانيًا: عندما دخل إلى المجال الإعلامي عبر الإذاعة والتلفزيون سبق إلى برامج حوارية غير معهودة، جعلت الناس يشاهدون المسؤول وهو يُجادل، والوزير حين يُناقش، فكان صنيعه عملًا من أعمال الشورى، ورأى المواطنون خلف شاشته ملوكًا وأمراء ووزراء ومسؤولين كباراً.

وفي هذه البرامج ملامح مهمة لشخصية الشبيلي الشورية؛ أولها، أنه تشاركي بعيد عن الاستئثار، إذ استعان بآخرين تقديمًا أو إعدادًا، وغدا بعضهم وزيرًا مثل أصحاب المعالي د. عبدالله العمران، د. غازي القصيبي، د. سليمان السليم.

والملمح الثاني، أن الرجلَ وقّافٌ عند حدود ما يعلم؛ ولذلك، طلب من أصحاب الاختصاص مساندته. وثالث ملمح، هو بُعده عن الجدل والمماحكة في إدارة الحوارات.. فالغاية نفع المجتمع. ورابعها، أنه ليس إقليميًا ولا فئويًا. وهذه خصال أساس، ظهرت بارزة في سجايا الشبيلي، عضو الشورى لاحقًا.

ثالثًا: مارس الكتابة في المجالات التي له فيها خبرة ومعرفة وفي الشأن العام، وهذا المسلك يتقاطع مع عمل الشورى، القائم على إبداء الرأي وإسداء النصح والدفاع عن المصالح العامة والعليا.

رابعًا: بنى خلال مسيرته الوظيفية قبل الشورى علاقات تقرب أو تبعد مع خمسة ملوك وعديد من الأمراء والوزراء الذين زاملهم، أو جاورهم، أو ربطته بهم وشائج قربى؛ ومن ثَمَّ، وعى المنهج المتبع في الحكم والإدارة، وأدرك دقائق المزاج الرسمي، فانضبط لديه وبه الإيقاع فما وقع ولا أوقع!

خامسًا: أوقفه عمله في الإعلام على سؤال حرِج يتأرجح بين الارتقاء بالمجتمع أو التبعية له، فصنع من الفجوة بينهما منبعًا لعمل جديد مفيد.

أما مسيرته في التعليم العالي فكشفت له مجتمع النخب الفكرية وبيئة الطلاب، ثمّ ولج إلى عالم التوثيق فرأى تاريخ البلاد وعراقتها، ليتسلّح بهذه المكونات تحت القبة مازجًا بين مطالب المجتمع، ورؤى النخب، ولوازم التاريخ، وصنعت منه هذه المحطات الثلاث عضو شورى رفيع الطراز.

سادسًا: من الطريف الذي ليس سرًا أن معالي الشيخ إبراهيم العنقري أبلغه باختياره عضوًا في المجلس وأوصاه بكتم الأمر إلى أن يُعلن كالمعتاد، وفي جلسة باريسية ضمت صاحبنا مع معالي الشيخ عبدالرحمن أبا الخيل وصديق ثالث لم يسمّه.. ولأنه لم يصبر أخبرهما باتصال العنقري به، فما كان من "أبا الخيل" إلا أن أشعر صاحبيه بأمره، وهكذا فعل الشبيلي، والشيء بالشيء يذكر.. فلأبي طلال كتاب عن سيرة العنقري يكاد فيما أعلم أن يكون المصدر الوحيد المستقل عن هذا الرجل الذي أبلغ جميع أو جلّ أعضاء أول دورة للمجلس الجديد بترشيحهم.

سابعًا: من الموافقات اللطيفة أن أول مرسلة إذاعية وضعت في الرياض بجهود الراحل، وثبتت فوق منطقة مرتفعة بُني عليها مقر مجلس الشورى الحالي! كما سجل الشبيلي وقائع انتخابات المجلس البلدي في الرياض عام (١٣٨٤هـ) وأرسلها لـ جدة كي تذاع منها.

أما خلال عمله في المجلس، فقد كان الشبيلي قريبًا أثيرًا من رئيسه وأكثر زملائه، وأستطيع رصد هذه المواقف:

أولًا: أُسندت إليه صياغة كلمات رئيس المجلس ومكاتباته؛ لأن الرجل امتاز بسلاسة الألفاظ، ووضوح المعاني، واختصار العبارات دون إبهام أو إيهام؛ كما أفاد المجلسُ من خبرته لإدارة أول لقاء مفتوح بين الأعضاء والموظفين مع رئيسهم الجديد معالي الشيخ د. صالح بن حميد.

ثانيًا: اتكاءً على المهارة الكتابية للشبيلي، أوكل إليه تحرير مخرجات دراسة مقاومة الإرهاب، وهي من اجتهادات المجلس الثمينة؛ وكتب بترتيب مع معالي الشيخ الجبير مقالًا لتفنيد رأي أحد الكتّاب عن المجلس بُعيد انعقاده، ونشر مقالته باسم قلمي هو فيصل المبارك.. فابتسم ابن جبير قائلًا: وما يدريك أن الشيخ فيصل المبارك هو أحد أعضاء المجلس القديم!

ثالثًا: استثمر د. عبدالرحمن الشبيلي رئاسته للجنة التعليم.. فاستضاف عددًا من الأكاديميات والموظفات لسماع رأيهن عن تقاعد المرأة، في تجربةٍ هي الأولى خلال تاريخ المجلس فيما أعلم، وبعدها توالت مشاركات المرأة فيه، وكان انتقاؤه للمشاركات بريئًا من التحيّز، متنائيًا عن الإقصاء، حصيفًا مستندًا لخبراتهن الوظيفية، وثقافتهن المتنوعة، وطريقة نظرتهن للأمور من زوايا غير مكررة.

رابعًا: كان إبّان عضويته كثير الثناء على مداخلات زملائه الجميلة، قريبًا ممن استعان به منهم، ومرجعية مأمونة لمن أراد، يقتبسون من هديه وهُداه؛ وفوق ذلك كان موضع الاستشارة الخاصة من قبل الشيخ الرئيس ابن جبير في مواقف حفظتها سيرته المنشورة قبل رحيله بشهور.

خامسًا: يُحسب للشبيلي أنه سجّل اللقاء الوحيد مع الشيخ محمد بن جبير، وفيه يتحدث عن حياته الأسرية والعائلية والعلمية والعملية، وصدرت الحلقتان فيما بعد بكتاب طبع مرتين.

سادسًا: دُعي صاحبنا من مسؤول كبير وسأله عمّا نمي إليه من تقليله من شرف اللقاء بالملك!

فقال الشبيلي: لم أقل ذلك، والقصة وقعت لزميل تحاور مع الرئيس بشأن هذا اللقاء، ولم تكن الرواية دقيقة في النقل ولا صائبة في الفهم والتسجيلات تثبت ذلك! وهذا التصرف الرشيد من الشبيلي غير مستغرب.. إذ قال الحقيقة كما وقعت ودافع عن زميله الغائب، ولم يستثمر الفرصة للإساءة له، أو يتخذه درعًا يتقي به غضب المسؤول، علمًا أن العضو المعني صار وزيرًا فيما بعد.

سابعًا: لن ينسَ أعضاءُ الشورى وموظفوه السلة الأنيقة التي يحضرها مليئة بالتمر الفاخر لتكون مع القهوة في الاستراحة بين جلسات المجلس.

وبعد انتهاء عضويته عقب اثني عشر عامًا أمضاها في رحاب جامعة المجلس، كانت له أعمال متعلقة بالشورى، منها:

أولًا: مشاركته مع سبعة أعضاء آخرين قضوا الفترة ذاتها في نشر تجربتهم الشورية من خلال سبعة محاور، حتى لا يخفت حضور المجلس في المجتمع، وأفصحوا بصدق ونصح عن آرائهم؛ وأعاد صاحبنا تحرير ما كتبوه وصياغته.. ثمّ صدر الكتاب بأكثر من طبعة، وخلصت آراء الأعضاء الثمانية إلى أربع نقاط جوهرية هي: مدى إلزامية رأي الشورى، وطريقة اختيار الأعضاء بين الانتخاب والتعيين، ومراجعة الموازنة والميزانية، وأخيرًا مشاركة المرأة بنسبة الخُمس، وهو الذي تحقق من هذه المقترحات المهمة، وليس الربع بكثير.

ثانيًا: ألقى الشبيلي عددًا من المحاضرات والكلمات عن تاريخ الشورى، وحول تجربته في المجلس، مع تعريف برئيسه الأول، كما ألقى كلمة الأعضاء المنتهية عضويتهم، وكلمة في حفل تكريم خاص له.

وأهتبلُ هذه الفرصة مقترِحًا على مركز عبدالرحمن السديري الذي تفرّد بالتركيز على الشبيلي شوريًا أن يجمع ما سطّره راحلنا عن الشورى مع مقدمته لسيرة ابن جبير، ومقدمته لتجارب الأعضاء الثمانية، إضافة لكلمات أصحاب المعالي والسعادة في هذه الندوة، وفي ذلك حفظ لتاريخ الكيان والإنسان والتجربة.

ثالثًا: كان الشبيلي ناصحًا أمينًا لمن سُمّي عضوًا في الشورى بعده، وأذكر أني قرأت شيئًا من هذا بقلم الأستاذ الأديب حمد العبدالله القاضي، إذ بادر الشبيلي لتهنئته وتقديم خلاصة تجربته، كما حرص على خدمة أعضاء الشورى.. فحين أهداه أحد المؤلفين كتابه عن تجربة المجلس بعد ربع قرن، سأله: وأين النسخ الخاصة بالأعضاء الباقين في أحدية الشورى؟

رابعًا: ترجم الشبيلي لعدد من الشخصيات الشورية ترجمة طويلة أو مختصرة، وبعضهم لا يوجد عنه شيء مطبوع فيما أعلم سوى ما سطره صاحبنا، ويحضرني منهم معالي الشيخ عبدالرحمن أبا الخيل، ومعالي د. رضا عبيد، ومعالي الشيخ حمود الفايز، وسعادة الأستاذ عمران العمران، كما حضَّ زملاءه على تدوين سيرهم الذاتية، ونشر منتجاتهم الأدبية والفكرية، وربما راجع بعضها، أو كتب تقديمًا لها.

خامسًا: استضاف الشبيلي في بيته أحدية الشورى، وشارك في مجموعات شورية أضحت نواديَ خبرة تنفع البلد في الشأن الشوري وغيره.

سادسًا: شارك الشبيلي في رحلة أعضاء الشورى السنوية لمدة عشرين عامًا منها ست مرات وهو ما يزال عضوًا، وغدت داره منطلقًا للشورحالة، مع أنه لم يعلم عن أول رحلة إلّا قبل ساعات من انطلاقتها، ومن أسف أن تخلو رحلة هذا العام منه، والله يسعده في ضريحه، ويسعد



بعض مؤلفات د. الشبيلي رحمه الله تعالى

رفاقه في حلهم وترحالهم، علماً أن حكايات هؤلاء الرحالة ما عُرفت إلا بعد أن نَشرَ سيرته.

سابعاً: أظهر الشبيلي عراقة مؤسسة الشورى وسموَّ أعضائها من خلال موقفين هما باختصار: الاحتفاء به حيّاً من قبل صحبة الشورى أكثر من أيّ بيئة عمل سابقة، وتفاعلهم المهيب مع رحيله شعراً ونثراً، فلا تكاد تخلو منهم مجالس التأبين والرثاء.

هذه ملامح تعدادها واحد وعشرون، تماثل عدد طلقات المدفعية الترحيبية بكبار الزعماء، وهي ليست بكثيرة تجاه رجل دولة، عاش شغوفاً بالخدمة العامة حتى صار قدوة فيها، ثمّ تشابه مصابه ومماته مع الاستفتاء الشعبي الصادق والنزيه حول أحد النماذج المجتمعية المتوازنة المقبولة والمحبوبة التي تصف الشخصية الوطنية، خاصة بعد أن بسط سيرته للناس شفافة يمشون في مناكبها، وهل الاستفتاء إلا أداة شورية؟ وهل الشفافية إلا نتيجة تستلزمها الشورى؟

* نص كلمة ألقيت يوم الخميس ٢٥ صفر ١٤٤١هـ-٢٤ أكتوبر ٢٠١٩م في دار الرحمانية بالغاط التابعة لمركز عبدالرحمن السديري الثقافي، في ندوة عنوانها: "التجربة الشورية لعبدالرحمن الشبيلي ذكريات ومواقف"، تحدث فيها أيضاً أصحاب المعالي والسعادة: أ. د. محمد الشريف، أ. د. فالح الفالح، د. عائض الردادي، وأدارها د. علي الخضيري.

** باحث وكاتب من السعودية.

الدكتور عبدالرحمن الشبيلي
زيارة واحدة.. أم اثنتان؟

■ محمد علي حسن الجفري*

زارنا مرتين، وزرناه مرتين إحداهما بعد وفاته. المرة الأولى التي زارنا فيها الدكتور عبدالرحمن بن صالح الشبيلي كانت في مركز معلومات عكاظ قبل أكثر من اثني عشرَ عاماً. كان الشبيلي ملء السمع والبصر، فقد كان عضوا في المجلس الأعلى للإعلام برئاسة الأمير نايف بن عبدالعزيز، وزير الداخلية، والعديد من رجالات الإعلام. وكانت له مناصب عليا في التلفزيون السعودي وفي جامعة الملك سعود بالرياض.

في المرة الثانية شرفني بزيارة في منزلي. وأهداني نحو عشرة من كتبه. وشدني في إهدائه أنّ خطه جميل جدا. وددت لو أني سألته مَن علَّمه هذا الإبداع في خط الرقعة. وقد فات وقت السؤال كما فات وقت الجواب. قال لي خلال زيارته هذه إن أحد أجداده كان فقيهاً، وقد راوده الحاكم في القصيم على تولي القضاء فأبى، وقال تريدون أن تضعوا الشبيل (القيد) في يدي أمام الله يوم القيامة؟ لا أقبل. فلذلك سمي الشبيلي. وبقي هذا الاسم في ذريته من بعده رحمه الله.

ولما كانت زيارته حوالي التاسعة صباحا، فقد احترس بقوله إنه لا يفطر إلا على كأس من الحليب وتفاحة واحدة. لكني حرصت على تقديم طبق الشكشوكة (بيض بالطماطم)، إضافة إلى وجبته من التفاح والحليب. وقال لي ولأخي مرتضى الذي حضر الزيارة إنه يرى أن الاقتصار على التفاح في الصباح مع كأس من الحليب يحفظ الجسم صحيحا سليما. أو نحو هذه العبارة. لم يكن يدري رحمه الله أنه مقدور على الجسم أن يهوي حسب رواية بعض الصحف من شرفة شقته من الدور الثاني من عمارة في باريس في ٣٠ يوليو ٢٠١٩م، وأن يأتيه الأجل بعد ساعات من سقوطه. ثم لما مات كنت في غاية القلق؛ لأني لن أتمكن من حضور العزاء فيه في الرياض..

انفرد رحمه الله بالسير التاريخية. لقد كانت بصمة حياته في حياته. فقد سجل في برنامج "مؤتمر صحفي" لقاء مع الملك فهد بعد تعيينه نائبا ثانيا لرئيس مجلس الوزراء إضافة إلى منصبه وزيراً للداخلية.

ومثل ذلك لقاء مع الملك سلمان الذي كان أمير الرياض وقتذاك وفي شبابه ، ويبدو لي -والله أعلم- أنه غير الاسم من "مؤتمر صحفي" إلى "شريط الذكريات"، وقام التلفزيون السعودي ببث هذه المقابلات الرائعة الموثقة لسنوات مهمة من تاريخ المملكة العربية السعودية المعاصر. وفيها تسجيلات مع رجال عصرنا منهم الأمير فهد بن محمد بن عبدالرحمن، والأمير عبدالله الفيصل، والأمير سعود بن هذلول أمير القصيم من عام ١٣٧٨-١٣٨٩هـ وحمد الجاسر، وأحمد قنديل الشاعر الحجازي الظريف، وأحمد محمد صالح باعشن، رجل الأعمال الشهير بمدينة جدة. ومع الشاعر طاهر زمخشري، صاحب القصيدة الشهيرة:

أهيم بروحي على الرابية
وعند المطاف في المروتين

كما أجرى مقابلة شريط الذكريات مع الأمير

مساعد بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود وزير المالية في عهد الملك فيصل، وعبد الله بلخير المسؤول الإعلامي في عهد الملك سعود، وخالد الفرج الشاعر الكويتي. وذكرنا ببيت الشعر الحكيم لخالد الفرج الذي قال فيه رحمه الله:

من خُلقت لحية جار له
فليسكب الماء على لحيته

وأخرج سير علية القوم في كتب لطيفة الحجم، ومنها سيرة الأستاذ إبراهيم العنقري، وزير الإعلام الأسبق، والشيخ حمد الجاسر.

وفي محاضرة عن الشيخ عبدالله بلخير قال الدكتور الشبيلي:

"ولا يغيب عن الذهن أن عبدالله بلخير الذي بدأ نجمه في الظهور في العقد الأخير من عهد الملك عبدالعزيز في مجال الترجمة، واستماع الأنباء، ومتابعة ما ينشر ضمن قائمة راصدي الأخبار والمترجمين، ومن خلال الاقتراب تدريجيا من ولي العهد الأمير سعود، قد أصبح بلا منازع رجل الإعلام الأول للملك سعود، وكان الناطق باسمه أحيانا، وربما عقد بعض المؤتمرات الصحفية عندما كان مرافقا له في رحلاته الخارجية".

وقد جمع في أسلوبه بين المعلومة والتحليل المحايد حتى لا أقول الجاف في تناوله للشخصيات. وقد هاتفته عندما كتب عن الدكتور محمد عبده يماني بعد وفاته، وكأنه لمس مني عدم الرضا عن المقال، وهو الذي عايش الرجل وعاصره في فترة توزيره، فقال لي أنتم في الحجاز تتناولون الأمور من جانب عاطفي!

وهذه فقرة مما كتبه د. الشبيلي:

"خرج الدكتور يماني عن المألوف في إدارته للعمل الإعلامي، ومارس (الشطارة) في التعامل



الملك سلمان مكرما الشبيلي رحمه الله

مع كثير من القناعات التقليدية السائدة. فنجح في بعض مغامراته فيها. ولعل في مقدمة أمثلة ذلك رفع حاجب السرية عن أخبار مجلس الوزراء، ساعده في ذلك خفة روحه وطلاوة حديثه وجسارته في الاقتراب من مجلس الملك وديوانه، وهو أي الاقتراب ميزة لم يحظ بها سوى عبدالله بلخير في عهد الملك سعود، الذي كان يقسم وقته بين عمله في الديوان وعمله في الإعلام".

وقبل سنوات كنت في الرياض، ولما علم الدكتور أبو طلال بوجودي طلب مني زيارته في منزله، وتوجهت مع أخي أحمد إلى لزيارة أبي طلال في منزله.

وقد حزنت عليه وشعرت بقلق بالغ أني لن أتمكن من العزاء شخصيا فيه. فطلبت من أخي أحمد أن يذهب للعزاء. فكانت زيارة بعد مماته رحمه الله وليست بكافية. لكني سأعوضها بالدعاء له وقراءة الفاتحة على روحه رحمه الله. واعتقد أن القرآن بنية وصول ثوابه إلى المتوفى يصل إليه.. يصل إليه مهما شكك متشككون.

---

* مترجم ونائب مدير مركز معلومات مؤسسة عكاظ سابقاً.

الشبيلي .. تخرّج من كليتين في وقت واحد وكتب سيرته بلغة الغائب

■ محمد بن عبدالرزاق القشعمي*

عرفته من خلال شاشة التلفزيون، عند بدايات بثه من الرياض، وانقطع لانتقاله فيما بعد من وزارة الإعلام إلى وزارة التعليم العالي، وبدأ يكتب في الصحافة، ولكن علاقتي الحقيقية بدأت معه منذ عرفت طريقي إلى خميسية الشيخ حمد الجاسر بالرياض قبل عقدين من الزمن؛ فتوثقت علاقتي به، فوجدت فيه من محاسن الأخلاق واللطف في التعامل واحترام الآخرين، وتباسطه في الحديث، وتواضعه الجمّ، وحبِّه للخير، ومبادراته الاجتماعية والإنسانية، ما حبّبه للكثيرين؛ فلم أجد أو أسمع يوماً مَن ينتقده أو يقلل من قيمته، فهو يحظى بحبِّ الجميع وتقديرهم، بلا استثناء.

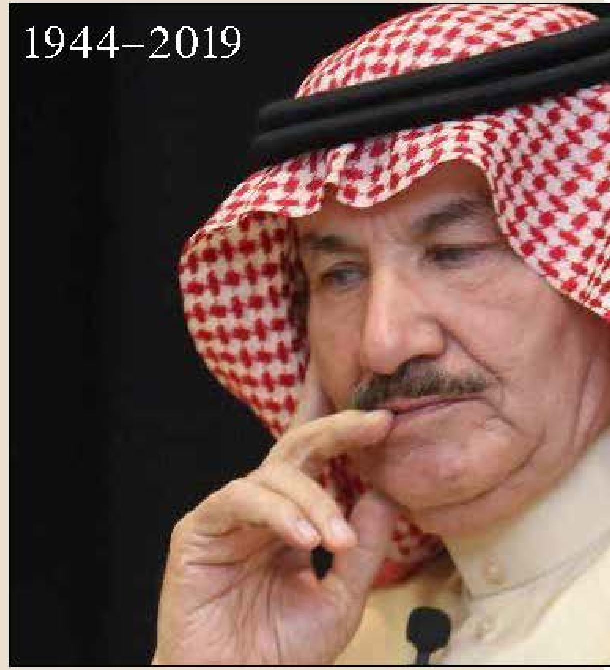
عرضت عليه فكرة تسجيل التاريخ الشفهي الذي تقوم به مكتبة الملك فهد الوطنية فأشاد بالفكرة فدعوته للمشاركة فلبّى الدعوة.. وعلى مدى ثلاث جلسات سجلت معه تسع ساعات في أيام ٢/٣-٩/٣-١٢/٣/١٤٢٥هـ. واستعرض المحطات المهمة في حياته، فبهرني بمعلومات دقيقة ومرتّبة، فطلبت منه تدوينها ليستفيد منها الجميع فتمنّع، وقال إنه لم يفكر بهذا فهو مشغول بالكتابة عن الرجال الأوائل الذين بدؤوا المجال الإعلامي المبكر بالمملكة، وبخاصة مَن كان لهم دور في تأسيس المملكة.

ومن الصُدَف أن يكون كتابه (مشيناها) هو آخر ما صدر له قبيل وفاته -رحمه الله- بأشهر.

يقول في مقدمة (مشيناها.. حكايات ذات) إنه تردد كثيراً قبل أن يكتب ترجمةً لحياته، رغم دعوات الكثيرين له، بدعوى أن ليس لديه ما يستحق الكتابة، وأنه يتحفظ عن البوح ببعض الموضوعات الحسّاسة، وقد تكررت دعوات الأصدقاء الذين قالوا له: اكتبها واتركها للزمن، فكتبها بلغة الغائب (صاحبنا) أو (الفتى).

قال إنه لم يلج عالم الكتابة قبل عام ١٤١٢هـ/١٩٩٢م؛ إذ إنه لم يعترف ببداياته معها، والتي ذَكّرتُه بها في جريدتي (أخبار الظهران) عام ١٣٧٦هـ واليمامة في ١٠/٥/١٣٨٠هـ بعنوان: (مقابر عنيزة)، - وهو ما يزال طالباً - بكتابي (بداياتهم مع الكتابة)، وقال إنه بدأ يهتم بالتوثيق «فوجد به عالماً شائقاً من ناحية، وسياحة تسد فراغاً في المشهد الثقافي من ناحية أخرى».

ولكنه مع ذلك «بدأ في مطلع رمضان ١٤٣٨هـ يونية ٢٠١٧م بتدوين سطور هذه الحكايات واختتمها في نحو عام ونصف العام مع اهتمامه بتعزيز المعلومة بالوثائق، إلا إنه



فضّلَ الخروج بهذه الحكايات عن طابع الجفاف العلميّ والهوامش الصارفة للنظر، فآثر إضفاء السلاسة والعفوية على مقروئيتها، وكان يتمنّى أن تخرج في شكل رواية، لكنه يفتقر إلى العناصر والأدوات الفنية لكتابتها...».

فاستقر رأيه على تسميتها (حكايات ذات)، مستعرضاً أبرزَ ما مر به في محطات حياته الخمس (الدراسة ١٥ عاماً، الإعلام ١٤ عاماً، التعليم العالي ١٧ عاماً، مجلس الشورى ١٢ عاماً، النشاط الثقافي الاجتماعي ١٢ عاماً حتى تاريخه).

وقال إنه يؤمن بالحكمة القائلة: (ما خاب من استشار)؛ ولهذا فقد طلب مشورةَ من يركَن إلى رأيهم، وذَكَرَ أسماءهم وشكرهم على ما أضفوه على المحتوى.

ولد في ١٣٦٣/١٠/٧هـ، ١٩٤٤/٩/٢٣م بمنزل طيني صغير بسوق (المعثم) في مدينة عنيزة، وكان منذ صغره يجالس والده ويساعده في دكانه المتواضع في سوق المسوكف لبيع التمر والحبوب بالتجزئة، وكان (صاحبنا) حتى تجاوز الخامسة عشرة يساعد والده في غير وقت الدراسة، فيتواصل مع الزبائن، ويحرس البسطة وقت غياب الوالد للقيلولة أو لصلاة الظهر، وقد جرّب البيع بدكان صغير مجاور لوالده ولكنه فشل وقفله.

تزوج والده صالح بن عبدالله الشبيلي من والدته فاطمة عام ١٣٤٥هـ ١٩٢٦م والتي يقول إنها تروي نتفاً مما تذكره عن ديرتها (إسطنبول) والقطار الذي أقلها وقت الحرب الأولى مع خالها، وتتذكر المرور بالقريات.. وقال إنها نسيت مفردات لغتها الأصل. وقال: «لم يوثق أحد من الباحثين الظروف التي أتت بأمثال هؤلاء النسوة من بلادهن، حتى تحوّل بعضهن قسراً في مجتمعاتهن الجديدة إلى جوارٍ يُتاجر بهن، مع أنهن في الأساس أحرار مختطفات أو سبايا حروب، والأحسن حظاً فيهن من لقين الاحترام وأصبحن زوجات معززات، لكن أغلبهن انفصمن كلياً عن بيئتهن الأصل، وصار يطلق عليهن نعوتاً تعميمية مثل: تركيات أو أرمنيات أو شركسيات، أو كرجيات...». وقال إن والدته «أندمجت بمقدرة عجيبة في المجتمع الجديد بلكنته القصيمية وعاداته.. وأجادت الأكلات والحلويات الشعبية... مع أنها كانت في الأصل نازحة من تركيا في إثر الحرب العالمية الأولى أو حرب الأتراك والأرمن، وقدمت إلى الجزيرة العربية مع عدد من بنات جنسها.. لم يكن لدى بعضهن من المعلومات

ما يكفي للاستدلال على أسرهن بسبب صغر السن..»، وقال إن أشقاءه الثمانية يتمنون الحصول من ذاكرة الوالدة على طرف الخيط الموصل إلى أخوالهم وخالاتهم من أهلها.. ولم يفلحوا.

دخل المدرسة العزيزية في الخامسة من عمره مرافقاً لشقيقه عبدالله الذي يكبره بسنة، قال عن نفسه: (لم يكن كاتب هذه الحكايات نابهاً ولا متوقد الذهن، ولا متميزًا في دراسته، لكنه كمعظم لداته منضبط المواعيد مثابر وخجول ومسالم، وكان لصغر سنه محدود الصداقات يغلب عليه الانزواء..» ص٧٥.

بعد إكماله الثانوية بالمعهد العلمي بعنيزة وهو في السادسة عشرة من عمره انتقل للعاصمة الرياض للدراسة في كلية اللغة العربية عام ١٣٧٩هـ، وتعلم في دورات مسائية اللغة الإنجليزية، ما ساعده على نيل شهادة الثانوية العامة لنظام وزارة المعارف وهدفه الوصول إلى الجامعة، وأصبح يجمع في دراسته بين كلية اللغة العربية والجامعة، فكان يخرج من الكلية ليلحق بالدرسين الأخيرين من كلية الآداب، وهكذا بالنسبة للامتحانات، تخرج عام ١٣٨٣هـ ١٩٦٣م في كلية اللغة العربية وفي العام التالي من جامعة الملك سعود..

رشح (صاحبنا) من قبل كلية اللغة العربية للالتحاق بوزارة الإعلام الجديدة التي أنشئت عام ١٣٨٢هـ فعمل بالإذاعة بجدة وانتقل معها للرياض بعد أشهر، وبعد ثماني سنوات وصل إلى وظيفة قيادية فاختار تخصص الإعلام في الدراسات العليا، وقبلها أوفد لتغطية مؤتمر القمة العربي الثاني بالإسكندرية ثم مؤتمر عدم الانحياز في القاهرة عام ١٩٦٤م.

وقال إن التلفزيون بدأ البث مدة ساعة بين صلاتي المغرب والعشاء من الرياض وجدة في ١٩/٣/١٣٨٥هـ/١٧/٧/١٩٦٥م، ثم بدأ إحداث برامج جديدة، ومُدّد وقت البث تدريجياً، وقال إن المرأة بدأت المشاركة بصوتها «وفي صيف عام ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م كانت هدى عبدالمحسن الرشيد المذيعة في إذاعة جدة ثم في إذاعة لندن، في زيارة للرياض وقدَّمت نشرة الأخبار على التلفزيون هي الأولى في تاريخه، ولم يكن لها ردة فعل تذكر» ص١٣٣، وأول أغنية سعودية نسائية على التلفزيون للمطربة المعروفة عتاب من إخراج سعد الفريح عام ١٣٩٦هـ، وقد كان صاحبنا مديراً عاماً للتلفزيون من عام ١٩٦٦م حتى ابتعاثه عام ١٩٦٧م لشهادة الماجستير في الإعلام من جامعة كانساس بأمريكا عام ١٣٨٨هـ ١٩٦٨م ثم الدكتوراه في الإعلام من جامعة ولاية أوهايو ١٣٩١هـ/١٩٧١م انتهى عمله بالإعلام عام ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م بعد أربعة عشر عاماً قضاها في العمل الإعلامي.. وكان إلى جوار والدته بالرياض بعد وفاة والده عام ١٣٩٢هـ والتي توفيت بالمستشفى التخصصي بالرياض في ١٢/٢/١٤٠١هـ/١٩/١٢/١٩٨٠م، بعد مرور تسع سنوات على وفاة والده. وكان قد تزوج قبل بعثته للماجستير من زكية بنت عبدالله أبا الخيل، رزق منها ابنه الوحيد طلال وابنتاه رشا وشادن.

انتقل عام ١٣٩٧هـ /١٩٧٧م لوزارة التعليم العالي. وكان قبل ذلك محاضراً بقسم الإعلام



مع صاحب السمو الملكي الأمير وليد بن بدر بن سعود و سبطه الأمير بدر بن وليد بن بدر بن سعود وسبطه فيصل بن راشد البراهيم و حفيده عبدالرحمن بن منلال الشبيلي

بجامعة الملك سعود من عام ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م، فبدأ رحلة التأليف بكتاب (الإعلام في المملكة العربية السعودية دراسة وصفية توثيقية تحليلية)، أصدر عام ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م أحد الكتب المرجعية في القسم، وكان في عمله وكيلاً لوزارة التعليم العالي وأميناً عاماً للمجلس الأعلى للجامعات.

انتقل لعضوية مجلس الشورى في دورته الأولى عام ١٤١٤هـ/١٩٩٤ بعد أن أمضى سبع عشرة سنة في وزارة التعليم العالي التي قال عنها: «بعد أن اكتسبت خبرة ثرية في أنظمة الجامعات ولوائحها، وقطف صداقات عزيزة مع عدد من أعضاء هيئة التدريس في مختلف الجامعات السبع».

وشارك في كثير من اللجان والمؤتمرات الخاصة بالإعلام والتعليم العالي ومن أهمها: المجلس الأعلى للإعلام من عام ١٤٠١هـ/١٩٨١م حتى إلغائه عام ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م عضوية مجلس الشورى لثلاث دوراته الأولى، عضويته لمجلس أمناء الشركة السعودية للأبحاث والنشر، ومدير عام مؤسسة الجزيرة الصحفية، وعضوية اللجنة العلمية لمركز حمد الجاسر الثقافي، وعضوية مجلس إدارة مركز عبدالرحمن السديري الثقافي، وغيرها.

لقد رحل -رحمه الله- يوم الثلاثاء ٢٧ ذي القعدة ١٤٤٠هـ الموافق ٣٠ من يوليو ٢٠١٩م بمدينة الرياض، بعد نقله بالإخلاء الطبي من باريس إثر إصابته بإغماءة، وقد ترك لنا كثيراً من الأعمال الثقافية الإعلامية.

وترجم له في موسوعة الشخصيات السعودية، مؤسسة عكاظ للصحافة والنشر، ط٢، ج١، قالت:

ولد عام ١٣٦٣هـ ١٩٤٣م بعنيزة، تلقى تعليمه الابتدائي حتى الثانوي بها، بكالوريوس

آداب قسم لغة عربية من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٣٨٣هـ، ١٩٦٣م. بكالوريوس آخر في الآداب قسم الجغرافيا من جامعة الملك سعود بالرياض ١٣٨٥هـ، نال الماجستير في الإعلام من جامعة كانساس الأمريكية ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م، والدكتوراه في الإعلام من جامعة أوهايو الأمريكية ١٣٩١هـ ١٩٧١م. أسهم في تأسيس أول إذاعة بالرياض ١٣٨٤هـ، ١٩٦٤م، وأول محطة تلفزيون بالرياض في العام التالي، عُيِّن مديراً عاماً للتلفزيون ١٣٩١- ١٣٩٧هـ، عمل أستاذاً للإعلام بجامعة الملك سعود ١٣٩٣- ١٤٠٣هـ، شغل منصب وكيل وزارة التعليم العالي، وأمين عام المجلس الأعلى للجامعات ١٤٠٣- ١٤١٤هـ ثم تقاعد. فعين عضواً بمجلس الشورى ١٤١٤هـ حتى ١٤٢٦هـ، عضو المجلس الأعلى للإعلام ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م. شغل عضوية مجالس الجامعات السبع، رئيس مجلس إدارة مؤسسة الجزيرة للصحافة والنشر ١٤١٧ - ١٤٢١هـ.. إلخ.

ترجم له في موسوعة رواد الإعلام السعودي، جاسم الياقوت، ط١، ١٤٣١هـ. أول سعودي يحصل على درجة الدكتوراه في الإعلام... أسهم في تطوير البرامج والابتعاث والتدريب وإنشاء المحطات التلفزيونية على مستوى المملكة، ثم عمل أستاذاً للإعلام بجامعة الملك سعود.

كان رحمه الله محبوباً وودوداً لم أعرف مثيلاً له في حلمه وورعه وسعة صدره، وتحمل كثيراً من المآسي والحوادث الشخصية والعامة... بيته مفتوح للجميع، حضرت مرات مع لقاءات ضحى أيام الأحد في منزله بزملائه أعضاء مجلس الشورى القدامى، وسافرت معه إلى عنيزة وإلى لبنان وقابلته بالقاهرة في معرض القاهرة الدولي للكتاب عام ٢٠١٩م حيث كُرِّم في جناح المملكة بحضور رفيقة دربه أم طلال، ورفض فكرة التكريم واستبدلها بإلقاء محاضرة عن أحد مستشاري الملك عبدالعزيز الشيخ الأزهري حافظ وهبة.

كان -رحمه الله- لا يحب الأضواء ولا المديح، رفض إقامة ندوة لتكريمه في مركز حمد الجاسر الثقافي عام ١٤٣٩هـ بعد منحه وسام الملك عبدالعزيز في الجنادرية، وبعد إلحاح اقتنع، وكان قد سبق أن رفض فتح ملف عنه في ملحق الجزيرة الثقافي (المجلة الثقافية)، رغم رجاء صديقه الدكتور إبراهيم التركي.

آخر ما صدر له مذكراته (مشيناها) قبل أشهر، يقول إنه اعتنى بتصحيحها وتعديل طباعتها لأكثر من ١٤ مرة؛ ولهذا، نجده يشكر مسؤولي المطبعة لسعة صدورهم. قرأتها لم أجد بها أي نقد أو انتقاد أو ذكر أي شخص بسوء، ولو بالهمز واللمز. كان حريصاً على القيام بالواجب العام والخاص مهما بعد المكان في حالة الفرح والترح، وكثيراً ما يفتح بيته لتقبل العزاء في الآخرين. ففيه تجتمع الصفات الحميدة - رحمه الله.

---

* كاتب من السعودية.

د. عبدالرحمن الشبيلي.. أيقونة متفرِّدة

وصل صاحب «مشيناها.. حكايات ذات» إلى نهاية رحلته، بصورة فاجأت جميع مريديه وأصدقائه من مختلف أطياف المثقفين والإعلاميين والكتّاب وضيوف أحديته الأسبوعية (زملاؤه من أعضاء مجلس الشورى)، الأحدية التي ظلت عامرة بأحاديثهم، ومناقشاتهم، ودعاباتهم في مجلس دارته بالرياض؛ كان أبو طلال دائم الترحاب بهم، يفتح قلبه قبل بيته، لحاضرهم، مستذكراً غائبهم، مضيافاً، لا يملّ، ولا يكلّ، ولا يمنّ، منتظرا، مستعدا لكل ملتقى جديد بأدواته التي يحب: طرح موضوعات للنقاش، وتوزيع إصداراته الجديدة، واستضافة عديد من الشخصيات ممن يزورون الرياض ويتوافق وجودهم مع موعد الأحدية.

▪ محمد صوانة*

الدكتور عبدالرحمن بن صالح الشبيلي «أبو طلال » كما يناديه محبوه، فقيد وطن، بما له من آثار وإسهامات إعلامية وثقافية واجتماعية، قلّ نظيرُها؛ كيف لا وقد اشتهر بتوثيقه في كتبه التي عكف بعد تقاعده من العمل على تصنيفها وإصدارها، فصارت له سلسلة من الكتب التي تؤرخ لمسيرة الإعلام والأعلام في المملكة، وعديد من كتب السير والتراجم لبعض رجالات الوطن، إضافة إلى كتاباته في مجالات اجتماعية وتنموية وتاريخية؛ إذ لم يكن يمر عام واحد من دون إصدارات جديدة، حتى وصل عددها إلى ما يزيد عن ٥٥ إصداراً، وفي ساعاته الأخيرة كان يعكف على وضع لمساته على أعمال يعدها للنشر .

في رسائل متبادلة معه بتاريخ ٢٧ يوليو ٢٠١٩، قبل يوم واحد من الحادثة التي وقعت له يرحمه الله، سألته هل أنت بالرياض؟ أجابني : "بعيد قريب، أعود بإذن الله نهاية أغسطس !"فعاد بعد يومين من تلك الرسالة. لكن في قوله «بعيد قريب»، إشارة لطيفة منه يرحمه الله إلى أنه مهما كان في مهمة أو مشاغل أو حتى سفر خارج الوطن؛ فإنه جاهزٌ، رهن إشارة أي خدمة يطلبها الأصدقاء، أو تتطلبها الأعمال التي يتولاها معهم!

كان موسوعيّ الاهتمام، واسع الأفق في الكتابة والتأليف والمشاركات المنبرية في مختلف المنابر الثقافية في المملكة من شرقيها إلى غربيها ومن شماليها إلى جنوبيها على السواء.

لقد فقدت الساحة الثقافية عَلَماً تجلّت بصماته في العطاء وصنع تجربة ثرّة وغنية بالمنتج العلمي الذي سيظل مصدراً رئيساً في موضوعاته، ينهل منها الباحثون في الإعلام والسير والتراجم والثقافة بوجه عام . وقد شهد الكثيرون بعلو كعب هذه القامة على الصعيد الثقافي، بل وفي كل عمل أو مسؤولية أسندت إليه أو تولاها طواعية.

ستظل لأبي طلال، يرحمه الله، بصمات عديدة في مختلف المجالات الثقافية والاجتماعية والرسمية في المملكة، تفرغ للتصنيف والتأليف والمشاركات الثقافية في مختلف المحافل الثقافية والتنموية بالمملكة.

إنه رجل فذّ حفر في الصخر حتى أصبح رائدا في مجاله، وصار أيقونة فريدة قل نظيرها.

ترّجم الشبيلي حبّه للتصنيف والتأريخ وتوثيق السير الذاتية) الغيرية (بتدوين الكثير من المؤلفات في هذا المجال، فكانت له مؤلفات ستظل مراجع لها أهميتها وحضورها سواء في مجال التوثيق لسير رجالات الوطن، ممن لهم بصمات وأعمال جليلة في مجال الخدمة العامة، أو تصنيف كتب ومؤلفات في


فصل من تاريخ وطن وسيرة رجال

عبدالرحمن بن أحمد السديري

أمير منطقة الجوف

١٣٣٨هـ (١٩١٩م) - ١٤٢٧هـ (٢٠٠٦م)

تأليف

مجموعة من الباحثين

الطبعة الأولى

الرياض ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

تدوين بخط يد د. الشبيلي (محرر الكتاب) يوثق رقم بروفة التعديلات على مخطوطة الكتاب قبل الطبع

مجال الإعلام، ما جعلته من أشهر من صنّف في هذين المجالين في المملكة العربية السعودية حتى تاريخه.

وقد عمل كاتب هذه السطور معه خلال فترة عمله تصنيفه لكتاب (فصل من تاريخ وطن وسيرة رجال، الأمير عبدالرحمن ابن أحمد السديري أمير منطقة الجوف" الأسبق") الصادر في طبعته الأولى عام ١٤٢٨ هـ/٢٠٠٧م والطبعة الثانية عام ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م؛ وشهدتُ بنفسي حِرصَه الكبير على كل كلمة وحرف يكتبه، حتى إنه لا يتوانى عن سؤال مَن له صلة بأي معلومة للتأكد من دقتها أو تاريخها؛ كما أنه كان يطلب من آخرين مراجعة ما كتبه ليسترشد بمرئياتهم وانطباعاتهم، وقد يأخذ بملحوظاتهم أو يناقشهم فيها عندما يكون له رأي آخر .وعلى الرغم من طول باعه في مجال اللغة العربية، فقد كان يرجو من آخرين تدقيق نصوصه، ما يؤكد حرصه على سلامة اللغة وتفادي وجود أي هفوة لغوية أو إملائية أو تصحيفية.. وما أزال أحتفظ في مكتبي بمخطوطة النسخة رقم (٩) لكتاب السيرة في طبعته الأولى٢٠٠٧ م وعليها التوثيق بخط يده، وهي النسخة نفسها التي تم تقديمها للفسح إلى وزارة الإعلام. ووضع عليها ملحوظة للأخ المصمم: "لا بد من توحيد بدايات كل فقرة، داخل الكتاب، فإما أن تدخل كلها قليلا أو تكون كلها مع السطور".

---

* كاتب وإعلامي من الأردن مقيم بالسعودية.

أبعادُ التعدُدِ والانفتاحِ في تجربةِ الفنانةِ التشكيليةِ السعوديةِ

عرفات العاصمي

■ إبراهيم الحجري*

يعرف المشهد السعودي التشكيلي حركيّة مدهشة على مستوى تراكم التجارب، وتنوّع المدارس، والاتجاهات الفنية، وتفاعلها مع حركية المشهد البصري العالمي؛ لكن العنصر الأهم الذي لا يمكن للمتتبعين، هواة كانوا أم مختصين في مجال الفنون، التغاضي عنه؛ هو الحضور المكثّف للإسهام النسائي في رفد التحوّلات الفنية، وإغنائها، وهو إسهام يتحقق فيه معيارا الكمّ والكيف؛ فقد سطع نجم العديد من الفنانات التشكيليات في سماء المشهد التشكيلي السعودي والعربي، من خلال عملهن الدؤوب على تطوير تجاربهن، والسعي لتحقيق أداء مبهر، يستطيع زحزحة الصورة النمطية التي تشكلت حول منجز المرأة، ويكون قادرًا على إقناع المتلقي، وإثارة اهتمامه إلى أن المراة السعودية بمواهبها الفطرية الخلاقة، وحِدّة ذكائها، وحسن إنصاتها للعالم المتعدد من حولها، وتفاعلها الإيجابي مع ما يعتمل في محيطها السوسيوثقافي، وسمو مشاعرها الوطنية والقومية والإنسانية، وحساسيتها المفرطة تجاه الذات، والجسد، والآخر، والكون، قادرة على الإسهام المعطاء في الارتقاء بالذوق، والنهوض بالمجتمع على مستوى الواجهات كلها.

١- الخلفيات الثقافية والفنية

شكّلت منطقة «عسير» الملهم الطبيعيّ الأصلي للفنانة، والرافد الذي منحها شحنات التفوّق، وفجّر ينابيع موهبتها، فتاقت نفسها إلى أشعة الابتكار، وتأتّى لها عشقُ الألوان والخطوط، والتأمل في بهاء الطبيعة، وتضاريسها، وإعجازها في الخلق، وساعدتها الأنشطة الموازية التي كانت تقام بمؤسستها التعليمية؛ بالموازاة مع التحصيل الدراسيّ اليوميّ، في اكتشاف ذاتها، وصقل موهبتها، واختيار وجهتها



الفنانة عرفات العاصمي، ولوحة حروفيات مع تجسيد الخيل العربي الأصيل (الخيل معقود في نواصيها الخير) شاركت بها في معرض بغاليري الفن النقي بالرياض بمعرض حداثة حبر

الفنية، وصقل مكتسباتها القبلية في هذا التوجُّه؛ مستفيدة من ملاحظات أساتذتها، ومرتادي معارضها، وتشجيعات أسرتها؛ وخاصة والدها.

غير أن أهم تحدٍّ، في مسار التجربة، خاضته الفنانة؛ هو العمل على تطوير خبرتها التشكيلية؛ وتطوير معرفتها النظرية؛ مع العمل على صقل موهبتها؛ وشحذ وعيها بالتجربة، وتحولاتها، وخصائصها، وانتقالها من مدرسة إلى مدرسة، ومن مجال بصري إلى آخر. فصارت ترتقي بالأداء الفني؛ بموازاة مع المعرفة النقدية.

ولئن كان نشوءُها في طبيعة ساحرة، ألهمها عشق الجمال الذي يحيط بها؛ فإن تخصُّصها في مجال الجغرافيا؛ ودراسة المجال، ألهب إحساسها بالكون، وزاد من وعيها بقيمته بالنسبة للحياة؛ وطبيعة العلاقات السائدة بين عناصر الطبيعة، والتفاعلات الحاصلة على مستوى المجال البيئيّ، لكنَّها لم تكتفِ بذلك، فصارت تنفتح تدريجيًا، على كلِّ الآفاق التي يمكنها أن تخصِّب تجربتها التشكيلية، فنهلت من التراث الفنّي العربيّ في مجال الحروفية، والعمارة، والأرابيسك، والزخرفة، لتطور أداتها الكاليغرافيّ، وأغنت ثقافتها البصرية؛ لتحقِّق نجاحًا باهرًا على مستوى رسومات البورتريه، وراكمت؛ في ذلك، منجزات مهمة.

لقد أسهم هذا الانفتاح على التجارب

ومع أن الوسط التربوي الذي نشأت في كنفه، لم يتح لها التوجُّه إلى مجالها المحبوب منذ الصغر، لكون منطقتها الأم (عسير) لا تتوافر على بنيات للتكون الفني آنذاك، فإنها لم تستسلم، وظلت بالموازاة مع تخصُّصها في الجغرافيا ودراسة المجال، تزاول نشاطها الفني بشكل مستقل، إرضاء لنزوعها



بدايات تجاربها في الخط مع التشكيل



لوحة تمثل مدائن صالح وقوم ثمود استوحت فيها صور النساء من نقوش الصخور في كهوفهم



لوحة تجسّد الرجل والمرأة العسيرية والتراث الجنوبي بالمملكة العربية السعودية

المختلفة، والحرص على تنويع الخلفيات، والمنطلقات الثقافية، والخوض في مختلف الاتجاهات التشكيلية؛ في الارتقاء بالكفاءات المهارية والفنية لدى الفنانة عرفات، والسمو بذوقها الجمالي بشكل عام، والاطلاع على تجارب الآخرين؛ وتفجير خبرات كامنة؛ جعلت أفقها التشكيلي في تلاقح مستمر.



لوحة تمثل التراث الجنوبي والرقصة الجنوبية لدى الرجال



لوحة تجسّد الكعبة المشرفة وحمام الحرم وشخوص تجريدية للمحرمين فازت بالمركز الثاني في مسابقة بالجمعية السعودية للفن التشكيلي بالرياض.



بداياتها في رسم الطبيعة بالزيتي

الفطري، وموهبتها الطبيعية، الشيء الذي جعل تلك الإرهاصات الأولية تتحوّل شيئًا فشيئًا، إلى تجربة فنية رائدة، استقام عودها بأسلوب تصاعديّ، اعتمادًا على مقومات الذات، وحسّها الإبداعي، وعصاميتها الفذة، وتكوين شخصي متين، كان اللقاء فيه مع الخامات، والألوان، والمشاهد الطبيعية، وقود التجربة، وسلاحها ضد المثبطات، والمعاكسات، والمشوشات، الخارجية والداخلية، وما أكثرها!

ولقد أفادت الفنانة عرفات، كذلك، من الحركية الوازنة التي يعرفها المشهد الثقافي السعودي، والتطور المطّرد للتجارب التشكيلية، والأهمية التي يحظى بها التشكيل بصفة خاصة، والفنون البصرية بصفة عامة، في برامج النوادي والمؤسسات الثقافية، والمهرجانات الفنية، والأدبية، إذ تتخلل المعارض الفردية والجماعية كافة الأنشطة، سواء داخل المؤسسات التعليمية والجامعية،



لوحة "السناقة" شاركت بها في جاليري آرت الطائف

أو في الفضاءات الثقافية العامة، ناهيك عن الورشات التكوينية التي تُستدعى لتأطيرها، والتي تشكّل محكًا للتجربة، ورافدًا خصبًا للوعي بخصوصياتها الفكرية والنقدية، ومعيارًا للبحث من جديد، عن آفاقٍ لتألقها، وإشعاعها.

فضلا عن ذلك، يسهم الاطلاع المتواصل للفنانة على المنجزات النقدية التشكيلية، سواء تلك التي ترد في الصحف والمجلات؛ بوصفها متابعات للحركية الفنية المحلية والعربية، أم تلك الدراسات الرصينة التي تؤصل للنظريات والمدارس الفنية عربيًا، وعالميًا، في تنوير الوعي بطبيعة الأداء الفني، وخصوصيته الجمالية، والفلسفية، ومعايير تصنيفه في هذا الاتجاه الفني أو ذاك؛ والأهم من ذلك كله، أن هذه المتابعة تكسب الذات قدرتها على التحليل، والتفكير في الأدوات، والإسناد، والخامات، والعناصر المؤثثة، والحوامل، وتمنحها أهلية التموقع ضمن الاختصاصات، والمجالات المعروفة عالميًا، مع السهر على تطوير الوعي بالتجربة، ورفدها بالأفكار، والموارد الجديدة، وتقويم التجربة تقويمًا ذاتيًا متواصلاً، في استنادٍ إلى رؤية متبصرة بالعالم الفنيّ للأعمال المنجزة، ووعي دقيق بالحدود، والأبعاد، والمعايير، والأدوات، والخامات المستعملة، والرسائل المبطنة التي تمررها اللوحات الفنية.

٢- وعي تجريبي

تمارس الفنانة عرفات تجربتها التشكيلية بوعيٍ فنيٍّ حسّاس؛ فهي مهووسة بتطوير أداتها الفني، وبالقدر نفسه، تسعى إلى توسيع ثقافتها النقدية التشكيلية، وتراهن على المعرفة الفنية للسمو بالذائقة،



من المعرض المقام على هامش الورشة نتائج المتدربات المبدعات من تأطير الفنانة عرفات العاصمي وتنظيم هيئة الثقافة والفنون وجمعية الفنون بالطائف

والنهوض بالمنجز، فهي تعرف أن العالم يتطور بشكل ملفت، فتتطور معه الأشكال، والبنيات، وتتغير وسائط التعبير، وتتنوع آفاق التصورات، بل وتتعدل المواقف والرؤى والعلاقات، قدر معرفتها بخصوصية المعرفية التشكيلية التي لا يمكن التغافل عنها، لأنها مدخل الفنان التشكيلي إلى القبض على المفاصل الكبرى للمعنى، والبوابة الممكنة لولوج المحرك الإنسانيّ، سواء تعلق الأمر بالأحاسيس أو ردود الأفعال، أو الانفعالات، أو المنظورات، أو الآراء المختلفة من شخص إلى آخر، ودون هذه المعرفة التشكيلية، لا يمكن الحديث عن تجربة مواكبة لروح العصر ومتغيرات الكون في عالم يسير بوتيرة سريعة لا يمكن الإمساك بها، أو مجاراتها.

إنَّ الوعي بالعالم من حولنا، وبمتغيراته،



لوحة أجل الرحمة شاركت فيها بمسابقة الحج والعمرة المقامة بالنادي الأدبي بجدة.



تكريم الفنانة العاصمي من طرف صاحب السمو الملكي عبدالله بن سعد بن عبدالعزيز آل سعود على هامش المعرض الجماعي الذي نظمته بجدة نسا آرت ٢٠١٦

يمنحان الفنان التشكيليّ طاقة مضاعفة تسعف الحواس على الاشتغال بإيقاع متسارع، وتضعه في قلب الصورة، لا خارجها، وتجعله مسكونا بالعالم لا ساكنا له؛ ومن ثَمّ، يمكن أن يفصح بالنيابة عنه، والتعبير عن مشاكل الآخرين، وإبراز همومهم، ومطامحهم، وأسئلتهم الحارقة في خطاب بصريّ تعبيريّ، يحمل من الجمالية والإبداعية ما يجعله مقبول التلقي، سلس العبور إلى الذهن. كما أن الوعي بخصوصية التجربة الفنية، ومدارسها، واتجاهاتها، وأدواتها، وخاماتها، وحدود التصرف فيها، ودرجة الانفتاح على أشكال وأنماط الفنون الأخرى القريبة أو البعيدة، يُقوّي من سبل اختلاق قوالب جديدة لمحكي العين، وابتكار قنوات مخالفة لما هو معتاد، من أجل الإفصاح عن المكنون التعبيريّ والشعوريّ، وإصدار مواقف وجدانية وتصورات فنية وفكرية، من خلال وسيط اللوحة. ناهيك عن كون هذا

الوعي المحايث للتجربة والممارسة الفنية، وهذه المعرفة البصرية المواكبة لدى الفنانة عرفات، يشحذان قدراتها على التوريش، وتأطير النشء، وخوض تجارب تكوينية لفائدة الشباب، من اكتشاف مواهب جديدة، وتحريض الناس على اقتراف المزيد من البهاء والجمال، وتهذيب الذائقة الإنسانية الكامنة: إذ لا يمكن لأيّ فنان مهما شعُت تجربته في العالم، أن يقوم بهذا النشاط إذا لم يقوّ معرفته بمحيطه، وبمجال اشتغاله، وبخصوصية أدواته، وطبيعة وسائطه، وحوامله، ومعيناته، ومتى يستخدم هذه، ومتى يستعمل تلك، وبأي أسلوب، ووفق أي تصور؟ وإذا لم يستطع الفنان الإجابة عن هذه الأسئلة، وغيرها مما يُثار حول الممارسة التشكيلية، فإنّه يكون خارج دائرة إدراكه الواعي، منصاعًا لسلطة لحظته الإبداعية التي يجهل خصوصياتها.

وعلى هذا الأساس، فالفنانة التشكيلية السعودية عرفات العاصمي، تسعى لإدراك مفاصل تشكل اللحظة الإبداعية لديها، ولدى غيرها من مجايليها، وأصدقائها الفنانين وصديقاتها الفنانات، ورصد آليات





جانب من الورشات



لحظة استقبال الأمير خالد الفيصل بمعرض تشكيلي شاركت فيه الفنانة عرفات العاصمي الى جانب عدد من الفنانات السعوديات على هامش مهرجان الورد بالطائف

الانتقال من مفصل إلى آخر، وطقوس العبور، والعلاقة مع الخامات والأدوات والحوامل، والتقاط المسافة الفاصلة بين الحواس والقماش لحظة الاشتغال، وأوان انغماس الشعور اللاواعي في الموضوع، أثناء الانسجام الكلّي مع عوالم الإبداع، والتحديث السرّي بين جُوانيّات الفنان وتركيبته النفسية والفكرية وبياض اللوحة، كل ذلك من أجل نقل التجربة إلى الجيل الجديد، وتنوير مواهبه، وكفاياته الفنية الباطنية، وكأنها تريد، بصيغة أخرى، أن تفعل مع النشء، ما افتقدته في طفولتها الفنية، وبداياتها الأولى، حيث لم يكن يتوافر المحيط السوسيوثقافي على معاهد متخصّصة للتكوين والمرافقة الفنية، والدعم النفسيّ والمعنويّ.

٣- عوالم فنية متعددة

لم تقيِّد الفنانة عرفات نفسها في خندق تخصُّص فنيٍّ واحد، ولم تقتنع بأن تتقوقع داخل خانة تصنيفية معينة، أو اتجاه جمالي محدد، أو مدرسة تشكيلية بذاتها، رغم أنها تتقن العمل في كل الاتجاهات والتخصصات الفنية التشكيلية على حد سواء، وبالقدر نفسه من الدقة، والمستوى نفسه من الاهتمام، والدرجة ذاتها من التميز، وعياً ومعرفة وأداء، انطلاقا من إيمانها العميق بكون القوى الإبداعية تتأجّج ضمن الغنى والتنوّع، وتخفُت كلّما ضيّقنا عليها الخناق، خاصة في مجال فنيّ بصريّ سريع التحول، متغير الأدوات، متداخل مع وسائط كثيرة متنوعة، وانطلاقا من حسها الاستباقي الذي يهجس بكون الفنان التشكيلي المستقبلي يجب أن ينوّع ثقافته، ويفتح عينيه على مختلف الوسائط التي تستدعي حاسة البصر، ويراهن على تضامن الفنون كلها؛ انسجاما مع متغيرات الوسيط الرقمي الجديد، الذي سيضرب الوسائط التقليدية



لوحة أنا المدينة شاركت بها بمعرض عن المدينة

في مقتل.

آمنت عرفات بالاتجاه الطبيعي (الواقعي)، وقدمت فيه لوحات رائعة وثّقت للحظة تفاعلها مع مجالها الطبيعي (منطقة عسير)، ومع جمال مدينة الطائف، وانبهارها بالخَلق الإلهي، والإعجاز الرباني في هندسة الكون، مثلما أبدعت في مجال الحرفية، وراكمت أعمالا ملهمة، عرضتها في عديد من المناسبات والفضاءات، فضلا عن كونها أبهرت متتبعيها بقدرتها على رسم عوالم تجريدية (الاتجاه التجريديّ)، تطلق فيها الفنان لخيالها الواسع، وبنات أفكارها الشعرية، وثقافتها المعرفية الواسعة، ناهيك عن كونها أسهمت بوعي ذكيّ في إثراء المشهد التشكيليّ السعوديّ، ومعارضه المتنوعة، ومهرجاناته، بمنجزات بصرية ذات هوية مختلفة تراهن على (البورتريه الفني)، وقدمت، من خلال هذا الأسلوب التشكيليّ شخصيات وطنية: سياسية، وفنية، وثقافية وازنة؛ دون أن ننسى ميولها، بوصفها امرأة إلى التعبير الوجداني، من خلال ابتكار لوحات تعبِّر عن العواطف الجياشة، والمشاعر المتضاربة تجاه ما يحدث حولها في العالم من تموجات، وأحداث، ومنعطفات (الاتجاه الرومانسيّ)، كما انفتحت مؤخرًا على الفن الرقميّ، والعرض الافتراضيّ عبر وضع لوحاتها، وجديد أعمالها رهن إشارة متتبعيها في كل المعمورة، معتمدة على مواقع التواصل الاجتماعي (تويتر، فيسبوك، انستجرام، يوتيوب..)، من أجل تقاسم اللحظات الفنية، وتبادل الآراء، والنقد البنّاء، والنقاشات الفنية المُغْنية للتجربة.

وخصّصت «عرفات» بعضًا من وقتها الفنيّ؛ للاشتغال على قضايا الأمة العربية، وأسئلة المواطن، وانشغالات الناس بالمناسبات الوطنية، فعبّرت عن مواقفها، وأفكارها تجاه هذه القضايا، عبر رسومات،



لوحة تجسد قصيدة و معتصماه (السيف أصدق أنباءً من الكتب)

ولوحات تجسيدية، توثق لالتحامها مع القضايا الحساسة للوطن والأمة، وانخراطها في اهتمامات العرب والمسلمين اليومية، وبخاصة فيما يتعلق بالحروب المُعلنة على الأمة (قضية فلسطين)، والصراعات الإيديولوجية والفكرية، والإرهاب والتطرف، وغير ذلك مما يقضّ مضجع الإنسان المعاصر بصفة عامة، حيثما وُجد داخل على وجه الأرض.

وانسجاما مع خصوصية كلّ اتجاه فني، وطبيعة كل مدرسة أو تيار تشكيلي، سعتِ الفنانة إلى تنويع أدواتها، وأساليبها بوعي حاد جدا، فهي تعرف كيف تختار الآليات التي تشتغل عبرها في كل عمل، حسب تصنيفه، وانتمائه، وتفرق بين العوامل الممكنة لعرض كل تجربة على حدة، وتوظف في كل لحظة إبداعية: الأسلوب الأنجع لتبليغ الفكرة، والقناة الملائمة لعكس المكونات الشعورية، والموضوعات



اسكتش من بداياتها: لصورة انتشرت في الانترنت لرجل كبير بالسن



لوحة تجسد الظلم شاركت بها في معرض اجنحة عربية بجدة



جمال الورد بتجريد لوني: شاركت بها في مهرجان الورد بالطائف في حديقة الردف

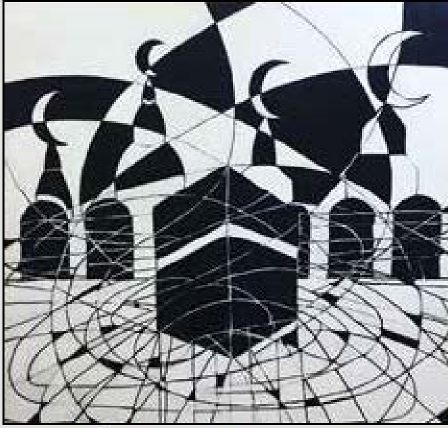
البصرية، في استحضار متوازٍ للسياق السوسيوثقافي، وللحظة التعبيرية، وللفضاء المحتضن للتجربة، ومستوى المتلقين للعمل الفني.

ولم يتأتَّ هذا التعدُّد وهذا الانفتاح داخل التجربة التشكيلية من فراغ؛ بل هما اختياران نابعان من قناعة فنية راسخة: تراهن على الاستمرارية، والشمولية،

وتعمل على تنفيذ مشروع واسع المشارب والخلفيات، والأدوات؛ فالتعدد سمة الرؤية الشاملة المؤمنة بإمكانيات التلاقي، والتماسك، والتلاقح، وانتقال الأفكار والتجارب من مجال إلى آخر، ومن تجربة إنسانية إلى أخرى؛ أما الانفتاح، فهو ميزة فنية توحي بالاعتقاد في الكلّيات، والتعالي عن الخصوصي، والمحدود في الزمان والمكان- مع أن الفنانة شديدة الالتصاق بالوطني، والمجالي، والإقليمي من حيث المظهر الهوياتي- والاشتغال بالأفق الإنسانيّ في جوهره المشترك، وبخاصة مع هيمنة الوسائط والميديا الجديدة التي قربت الجغرافيا، وقهرت المسافات، وجعلت من العالم قرية صغيرة، بل إنّها محت الحدود والحواجز التي كانت تفصل بين الهويات الثقافية والفنية، وصار الفنان معنيا بالسُّؤال الوجودي لكافة البشر على اختلاف



لوحة جمل للفنانة عرفات العاصمي المشتاة في معرض مبدعات ٤ بمعرض تجريد تنظيم هيئة الثقافة والفنون وجمعية الثقافة والفنون بالطائف



لوحة الكعبة المشرفة للفنانة العاصمي المشاركة بمعرض تواصل ٢ بالرياض لعام ١٤٣٨هـ

انتماءاتهم الجغرافية، واللغوية، والعقدية، والثقافية.

خلاصة القول، إنّ الفنانة «عرفات العاصمي» تعي جيدًا خصوصيات تجربتها، وتؤمن بالخلفيات الفكرية والثقافية التي تصدر عنها اختياراتها، وتعمل، بجدٍّ وتفانٍ، من أجل عكسها جميعا ضمن أعمالها المتنوعة التجليات، والمختلفة القوالب، والحوامل، والفضاءات، انسجامًا مع طبيعة المشروع الفني المتكامل الذي صممته قبليًا، مع سبق إصرارٍ وعنايةٍ شديدين، ومع الاعتقاد البالغ في أحقيّة الفنّ بخدمة الرسالة الإنسانية السامية، وتنقية العالم من مظاهر الكراهية، وأشكال الفساد، ومكامن القبح، لإحلال قيم السماحة، والتعايش، والنبل، والتضامن، والسلم، والسلام، والأمن والأمان.

---

* ناقد وروائي من المغرب.

إيقاعُ الصورةِ في شعر مريد البرغوثي
شعريةُ الاغترابِ والألمِ والحنينِ إلى الجذور

■ نضال القاسم*

في الثامن من تمّوز (يوليو) عام ١٩٤٤م، ولد الشاعر الفلسطيني مريد البرغوثي في قرية دير غسّانة، قرب مدينة رام الله، وأنهى فيها دراسته الثانوية، ثم التحق بجامعة القاهرة، وحصل على ليسانس اللغة الإنجليزية سنة ١٩٦٧م، وقد عمل في التدريس وفي الحقول الثقافية والإعلامية، وكان ممثلاً لاتحاد كتّاب فلسطين في اتحاد الشباب العالمي لمدة عشر سنوات.

وبعد هزيمة عام ١٩٦٧م، منع الاحتلال الإسرائيلي الفلسطينيين الذين تصادف وجودهم خارج البلاد من العودة إليها، وقد كان مريد واحداً من هؤلاء، إذ كان ما يزال حينها على مقاعد الدراسة في جامعة القاهرة.

وفي هذا الصدد يقول مريد: "نجحت في الحصول على شهادة تخرّجي، وفشلت في العثور على حائط أعلق عليه شهادتي"!

نعم فشل في العثور على جدار كما فشل بكل محاولاته بالعودة إلى الوطن ورؤية الأهل والأصدقاء، إلا بعد ثلاثين عاما.

من هنا، فقد بقي مريد في مصر، وتزوّج من الكاتبة الروائية الدكتورة "رضوى عاشور"، وهو يحدثنا في كتابه النثري الرائع "رأيت رام الله" عن سيرته الذاتية وعن تميم وأم تميم، إذ عادت السيدة رضوى بالدكتوراه ورزقهما الله بتميم في ١٩٧٧/٦/١٣م؛ أي كما يقول قبل ترحيله من مصر بخمسة أشهر. "كانت الولادة متعسرة. رأيت بعينيّ وجع الولادة، فشعرت أن من الظلم أن لا ينسب الأطفال إلى الأم! لا أدري كيف



اغتصب الرجل حق نسبة المولود لنفسه؟ لتبدأ بعد ذلك حركات سياسية في الشارع المصري، احتجاجاً على زيارة السادات لإسرائيل، ليطرد على إثرها (مريد) من أرض الكنانة عندما كان ابنه تميم في شهره الخامس، مخلّفاً وراءه وطناً ثانياً وزوجة وابناً، وقد منع بعد ذلك من العودة إلى مصر لمدة سبع عشرة سنة؛ فبدأ في هذه المرحلة مرةً أخرى بالتنقل بين المنافي العربية والأوروبية، القاهرة وبودابست وباريس ومنافٍ أخرى، عمل فيها وامتدت علاقاته وذاع صيت كتاباته، وكان لا يستطيع أن يرى ابنه وزوجته إلا في الإجازات، حين كانت (رضوى) تأخذ بيد (تميم) وتذهب به لزيارة زوجها الذي طرده الرئيس الراحل محمد أنور السادات من مصر.

ومما لا شك فيه، أن الشاعر مريد البرغوثي من أبرز الشعراء الذين دافعوا عن عدالة القضية الفلسطينية بالكتابة والشعر والإبداع الفني، إضافة إلى كونه شاعراً متألقاً ومستمراً في الإبداع وكتابة الشعر منذ خمسين عاماً، وهو يهتم في قصائده بالمشترك الإنساني؛ ما يجعل شعره بالغ التأثير في قارئه أياً كانت جنسيته؛ فهو يكتب بلغة حسِّية مادية ملموسة ينقل من خلالها حواسَّه، إنَّها لغة بديعة مغترية في الجمال، كما أنه يعمل أيضاً على ما يسميه تبريد اللغة، أي إبعادها عن البطولية والطنين، وتخلو قصيدته من التهويمات والهذيان، فشعره عفوي الصياغة، مطبوع العبارة، قوامه الرمز والصورة، وهذا ما أسهم في توسيع دائرة قرائه في العالم، وأتاح له المشاركة في عديد كبير من اللقاءات الشعرية ومعارض الكتاب الكبرى في العالم، وقدم محاضرات عن الشعر الفلسطيني والعربي في جامعات القاهرة وفاسو أكسفورد ومانشستر وأوسلو ومدريد وغيرها. فمريد من الأسماء التي وجهت

مسار الخريطة الشعرية في العالم العربي، بالنظر إلى أدواته المتفردة واللحظات المفصلية التي عاصرها وكتب عنها. وقد اختير في عام ٢٠١٥م رئيساً للجنة التحكيم لجائزة الرواية العربية.

صدر للشاعر البرغوثي خلال السنوات الماضية العديد من الأعمال الشعرية والنثرية، ومنها: (الطوفان وإعادة التكوين، دار العودة، بيروت، ١٩٧٢م)، و (فلسطيني في الشمس، دار العودة، بيروت، ١٩٧٤م)، و (نشيد للفقر المسلّح، الإعلام الموحد، بيروت، ١٩٧٧م)، و (الأرض تنشر أسرارها، دار الآداب، بيروت، ١٩٧٨م)، و (قصائد الرصيف، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٠م)، و (طال الشتات، دار الكلمة، بيروت، نيقوسيا قبرص، ١٩٨٧م)، و (رنة الإبرة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،١٩٩٣م)، و (ليلة مجنونة، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٥م)، و (منطق الكائنات، دار المدى، عمان، ١٩٩٥م)، و (الناس في ليلهم، دار الآداب، بيروت، ١٩٩٩م)، و (منتصف الليل، دار رياض الريّس، بيروت، ٢٠٠٥م)، و (مجلد الأعمال الشعرية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،١٩٩٧م)، و (الأعمال الشعرية الكاملة، الجزء الأول، دار الشروق، القاهرة، ٢٠١٣م)، و (الأعمال الشعرية الكاملة، الجزء الثاني، دار الشروق، القاهرة، ٢٠١٣م)، و (استيقظ كي تحلم، دار رياض الريّس، بيروت، ٢٠١٨م).

وفي كتابه النثري ذائع الصيت "رأيت رام الله، ١٩٩٧م" الفائز بجائزة نجيب محفوظ للإبداع الأدبي للعام (١٩٩٧م) والذي يعد سيرة وطن، وتاريخ شعب، والذي تمت ترجمته إلى العديد من اللغات، ومنها على سبيل المثال لا الحصر: الإنجليزية والهولندية والإسبانية، وثّق البرغوثي سيرته الذاتية وتفاصيل رحلة العودة إلى موطنه بعد ثلاثين عاماً من الغربة والاشتياق، فبدأ الحكاية من على مشارف جسر العودة، جسر الملك حسين، الذي اجتازه قبل ثلاثين عاماً لإنهاء سنته الدراسية الأخيرة وعاد إليه بعد طول غياب وعذاب وشوق ليلملم شتاته، وبمشاعر متناقضة يحاول اجتيازه، حيث بدأ كتابه بوصف قصصي شاعري دقيق لكل شيء، للنهر الذي جفَّ ماؤه، للجسر الخشبي القصير المشبع برائحة الأهل والمترع بالصور القديمة الساكنة في الوجدان، والذي عبر خلاله آلاف الفلسطينيين مهجّرين وعائدين بتصريح زيارة، للجندي الإسرائيلي المرتبك الذي رآه لأول مرة، هناك وقف وقال "ورائي العالم وأمامي عالمي". ثم أخذنا إلى عالمه، إلى فلسطين وتحديداً إلى رام الله، الّتي وصفها بعمق في كتابه، وأوضح طباع أهلها، قبل هجرته، وبعد عودته إلى الوطن بعد ثلاثة عقود من الخيبة والوجع، من الحنين والانتماء إلى مكان هو في الأصل، جغرافيًا، استحقاقيّة

للفرد، كبقعة هو ينتمي إلى حدودها..! تلك المدينة التي تغيّرت ملامحها، تغيّر ناسها وأهلها، فقد كبُر الصغير وشاب فيها الكبير، وصفها بدقة فجعل القارئ كأنه يعيش فيها، يمرجحه بين الماضي الذي انهال على رأسه وبين الحاضر الذي فاجأه، أخذنا إلى شوارعها، إلى بيوتها القديمة والحديثة، إلى تاريخها وحاضرها.. فجعل كل من يقرأ الكتاب يعيش تفاصيله، بين الماضي والحاضر. في مجمله هو نص إنساني إلى أبعد حد، إذ نجد أن البرغوثي يصف طبيعة رام الله، ويغرِّد جماليًا: "رام الله السرو والصنوبر، أراجيح المهابط والمصاعد الجبليّة، اخضرارها الذي يتحدّث بعشرين لغة من لغات الجمال".

ومن المعروف أن الشاعر مريد البرغوثي يمتاز عن غيره من الشعراء العرب المعاصرين بقدرته الاستثنائية على وصف المشاهد اليومية، بصياغات ذكيّة وصور عفوية تنحازُ للحقيقة والجمال ودفق الحياة بعيداً عن الغموض، فهو شاعرٌ يمتّح من الثقافة البصرية وينتصر لإيقاع الصورة؛ ومما يضفي بعداً جمالياً على شعره انفتاح الرؤية على المعجم الطبيعي المكثف الذي انعكس في أغلب الأحيان على إيقاع اللغة والصورة في شعره؛ فهو يؤكد غير ما مرة أنه صديق حميم للأشياء والموجودات (الأشجار، الفراشات، الزهور، الزنابق، النوارس، النوافذ، الغزلان، الريح، النار،



النجوم، الماء، الضوء..)، وهي مفردات تخلق معها الألفة ما دامت تبعث فينا الحياة. ومن الأمثلة على ذلك في شعره قصيدة "مشهد يومي"، وهي قصيدة تتكامل أمام القارىء في خط تصاعديّ يتجه تدريجياً باتجاه الذرْوة، بنبرة خافتة ولغة دقيقة، كما في قوله:

ووراء النافذة
استمرَّ المشهد اليوميُّ:
أولادٌ يعدون المقاليع
وأصوات هتافات ورايات
وعسكر.
يطلقون النار في زهوٍ وفوضى
وصبيٍّ آخرٍ يهوي شهيداً
فوق إسفلت الطريق!

لكنّه بأسلوبه الشعريِّ الممتع، الذي يقترب من قصيدة السيناريو، والذي يتداخل فيه الشخصي مع العام والنص النثري مع الشعر، وقدرته على صياغة الدهشة في تركيب الجملة، جعل ما قدّمه كتلة من الجمال، المحمّلة بالوعي المطلوب اقتناؤه



للشباب الفلسطينيّ، حول قضيَّتهم، وحول ما يواجهونه من تضليل؛ تحرف نظرهم عن الرؤية الأقرب إلى الشموليّة. كما يظهر في قصيدته المشهدية "بوابة البلد"، من ديوان "الناس في نيلهم"، والتي تتحدث عن واقع مؤلم ينقل فيه الشاعر صورة من صور عذابات وطنه الجريح، إذ يقول بلغةٍ عذبةٍ سلسة:

هذا هو الغدرُ الأنيقُ أناقة الإنصاف
عدتُ ترجُّني أصواتهم
بوّابة الأبواب
لا مفتاحَ في يدِنا
ولكنا دخلنا لاجئينَ على منازلنا
التي كانت منازلنا

هذا ما حاول مريد البرغوثي طرحه؛ من خلال تسليط الضوء على تجربته، وتجربة من حوله من أبناء جيله في الغربة، حين العودة وبعدها، ورؤية رام الله وقريته بعد ثلاثة عقود من المنع الإجباريّ عن مسقط رأسه. ولم يكن شيء، مهما قسا بقادر على انتزاع روح الأمل من نفسه الشاعرة، فمن عتمة اليأس ظل يشعل مصابيح الأمل ويغنّي للعودة، كما في قصيدته المعنونة بـ "دار رعد" إحدى قصائد ديوانه "الناس في نيلهم"، يقول في هذه اللوحة الشعرية التي تصوِّر أجواء المكان:

لمنزلِ أصابهُ الجمالُ
عدتُ مُتعباً، ككُلِّ من يعود

وقد حاول مريد في شعره أن يفضح الغربة بكلِّ ما فيها من أحاسيس، ويعرِّيها لمن يطمح إليها، وحاول أن يحاكمها، لكنَّها مرضه الخبيث الَّذي تكاثر وتحوَّل إلى أمل ضائع، وهو في اغترابه عن الواقع، مُضطرٌّ دائماً للبحث عن الطمأنينة في الماضي، وها هو يرسم لنا لوحة مدهشة في واحدة من قصائد ديوانه (الناس في نيلهم)، حيث ينتقل بنا من الحاضر إلى الماضي ليحدثنا عن طفولته، ويبثُّ انفعالاته بلغةٍ مغرقةٍ في الشفافية والبساطة، ضمن صورة شعرية رائعة، تصف واقعاً مجبولاً بالألم والأمل، يقول:

نسيتُ غيْمَ الدهْر لحظةً
وعدتُ للطفل الذي
من مهْده القوطيّ تاهَ في البلادِ مُغرماً
ومُرغماً وعادْ

ويستبد الحنين بالشاعر بسبب ابتعاده عن وطنه، فنراه يوظِّف أسلوب الاستفهام للتعبير عن هذا الحنين، بألق تصويري وحنكة نسقية في تفعيل الأنساق اللغوية، فيسأل بمهارة فنيَّة عالية ونبرةٍ تجمع بين

الشجى والسخرية والسؤال عن الغائب الغريب والمكان ليبدو المشهد الشعري بغاية المباغتة/ والتفعيل النسقي، وهذا الأسلوب في التفعيل النسقي، يزيد بؤرة التخييل الشعري عمقاً وانفتاحاً رؤيوياً، وللتدليل على ذلك نأخذ قوله:

هلْ يَرجعُ الغريبُ حيْثُ كانْ
وهل يعودُ نفسَه المكانْ؟

ويظهر البرغوثي من خلال نصوصه الحديثة كما عرفناه دائماً، أي إنساناً يسعى باستمرار إلى تجاوز نفسه ويستمد من اللانهائي المفتوح أمامنا سبباً لاندفاعه، مستعيناً في ذلك بمخيلةٍ جامحة وأحلام ليله ونهاره، وذاكرة صورية للأشياء، وقد نجح البرغوثي في ديوانه الأخير "استيقظ كي تحلم" في نقل نبض الحياة اليومية وعذاب الناس، فهو شاعرٌ مختلف، يبحث في المعيش اليومي وفي كلام الناس ومفرداتهم وإيقاعات حياتهم، وهذا ما ارتكز عليه طوال حياته ولم يتزحزح عنه قيد أُنمله. وقد عاد من خلال ديوانه الأخير إلى حيويته النابضة والثابتة على معايير الجمال المشبعة بالحنين والأمل؛ فالديوان يسودهُ الحنينُ للماضين: ابتداءً بمنيف البرغوثي، مروراً بالأب والأم والأخ مجيد ومحمود درويش، وقوفاً في حضرة "السيّدة" والحبيبة رضوى عاشور، التي أهدى لها مريدُ الديوان. ويضمّ الديوان ثلاثة أجزاء: يتكوّن الجزء الأوّل من مجموعة قصائد تحمل عناوين مختلفة، يربطها الفيض الشّعوريّ، ويختتمها بقصيدة مهداة للشاعر محمود درويش. أمّا الجزء الثاني فقد أدرجه تحت عنوان أساسيّ وهو "منطق الكائنات مرّة أخرى". والجزء الثالث اختتمه الشاعر بنصّ نثري في استذكار زوجته الروائية والناقدة المصرية الراحلة الدكتورة رضوى عاشور، تحت عنوان "افتحوا الأبواب.. لتدخل السيدة"، وفي هذا الجزء يواصل الشاعر تنغيم لحنه في دفقات متتابعة كالبلورات الصغيرة أو الورود الناضرة الشائكة، مستحضراً رفيقة دربه رضوى، ومعلناً انشغاله بها لتظل حية، وليدفئها من البرد، كما جاء في قوله في قصيدة "خلود صغير":

مُفرداً، شاهقاً،
شرفتي غيمة دللتها السماء،
أطلّ على شاطئ جنة،
قال أخضرها كل أقواله هامساً، هادراً
فُستقي الذوائب، يوشك يلمع،
أخضر يرضع، يحبو،
يكاد يشيب إلى المشمشي المضيء،
ويدخل في الصدئي الموشى كما قشر رمانة أوغلت في النضوج
وأخضر فيه الدخاني،
يهرب من زرقة خالطته
خلف أزرار هذا القميص الخفيف،
أواصل أشغال من ظل حيا: أدفئ رضوى من البرد.

كما أن قصائد الديوان تعبّر عن الهمّ

الإنسانيّ بِصِيَغٍ بليغة، وتحمل رسائل عميقة طغت عليها شعرية عالية تلامس الروح، وهي قصائدُ لم ينَلّ الحزنُ من جماليتها فنياً، فقد تحكّم البرغوثي بشعره، فكان من الطّبيعيّ أن يستمدّ مفرداته من الواقع المعاش، من طين الأرض وملامح الناس البسطاء، فاللغة طيّعة له يقودها كيفما شاء/ ويشكلها كيفما يشاء، بحسٍّ جماليٍّ شعوريٍّ عميق، فهو يعبر بلغة شفيفة، تثير القارئ بسلاستها، وعذوبتها، وإيقاعها الداخلي، وكأنها نغمات موسيقية تبث أنغامها بأصداء العبارة، لتحولّها من نسق انسيابي إلى آخر، لدرجة يثير القارئ إلى الأبعاد الإيحائية التي تحمله الجملة الشعرية. والمتابع لقصائد الديوان يلحظ أن البرغوثي يكتب ذاته وألمه وألم الآخرين، يصوّر الحب والأسى بعيداً عن الإيديولوجيا البائسة التي كانت سبباً في انحطاط كثير من الشعر العالمي، ويكفي أن نُوردَ من القصيدة الافتتاحية التي جاءت تحت عنوان "خلودٌ صغير" هذا المقطَع:

ها أنا اطرُدُ الشّوقَ مِن لُغتي،
وهل الشّوقُ إلا اعترافٌ بِكَسرِ المكانِ
مكانَينْ
والجِسمِ جِسمَينِ والواحِدِ اثنَيْنِ؟

وما يميز الديوان هو اتساع رقعة الموضوعات والقضايا التي تشغل الشاعر، وعلى رأسها القضايا الوطنية والوجودية، والوجدانية، فجاءت القصائد مكثفة، ومعمّقة، وترتفع فيها القيمة الأسلوبية، وإن نحا في بعض القصائد إلى الأسلوب الانفعالي الذي يكشف طبيعة الشاعر الثائرة، وهذا ليس جديداً في دواوينه. أما على المستوى النصّي، فقد اعتمد الشاعر في كثير من قصائده على البنى الحوارية بصيغة المخاطب، ولكنه في معظمه جاء حواراً ذاتياً، وأعتقد أن سبب ذلك يرجع إلى رغبته في ممارسة الحريّة الخاصة التي يجب أن يمارسها في النص الشعري، حتى يمنحَ لنفسه القدرة على التعبير عما يريد.

إن كتابة الشاعر مريد البرغوثي كتابة تفاعلية؛ ذات خصوصية تجريبية تقوم على التداعي، والانفتاح الدلالي، والجمالي بين الفنون، والأنواع، والحكايات، والأصوات الممتدة من المعارف، والذاكرة الجمعية، والإيقاعات، والمؤثرات التشكيلية المباغتة التي تسهم في تعميق فضاءات المتخيلات الشعرية، والأصوات التي تؤكد الاختلاف، والتجدد، ودوال الكتابة نفسها في صيرورتها المستقبلية، كما أن شعره يمتاز بفاعلية التخيل في توليد الصور الشعرية؛ ورغم أن جملته الشعرية مكثفة للغاية، إلا أنها تنحو أحياناً إلى الأسلوب السردي، الذي يروي بكلمات موجزة مثقلة بالمعاني والإسقاطات، كقوله في قصيدة (أسّماؤُهُم):

لم تعد أرقامُهُم تصغي لصوتي
في صباح القهوة الأولى
وأكداس الورَق
لم أعدْ أطلبُ منهم أنْ

يلاقوني على المقهى
حوالي السادسة

إن شعرية مريد البرغوثي واضحة الرؤى، جلية المداليل، يستقطبها القارئ منذ الوهلة الأولى، وإن هذه السهولة لم تُفقِد نصوصه نبضها الشعوري، وإنما ساعدت القارئ على فهمها وتأملها بعمق في مساراتها المتنوعة، لتبدو لغته متقدة، بالوضوح المقصدي، والرؤية الجليّة التي يستقطبها القارئ بسهولة ويسر، وهذا ما يحسب للشاعر في كافة أعماله الشعرية أنها ذات ألق تشكيلي، ووضوح مقصديّ، وإثارة مشحونة بكثافة الرؤى وعمق المداليل، فالشعرية عند -مريد البرغوثي- تتألق من نص لآخر، فلا نلحظ تكراراً ممضاً في قصائده، وإنما نجد تآلفاً نسقياً يقود حركة نصوصه الدلالية، لتبدو بغاية التحفيز النسقي، والاكتناز التشكيليّ الجماليّ، بما يفاجىء القارىء، ويكسِرُ توقّعاته، كما في قصيدة (نزاهة) من ديوان (منطق الكائنات):

قال صندوق الانتخابات
عداد التاكسي
وبائع الحليب
وأنا
لو راقبتنا الملائكة والشياطين معا
سنغشكم

إن الشاعر يرتكز في تكراره لبعض الدلالات على إحداث الأثر الجماليّ للصور، والأصوات، وما تحويه من نغمات مجردة ذات تأثير قوي في العالم الداخلي للمتلقي، كما أن صوره الشعرية لها العديد من الخصائص المائزة لها وأهم هذه الخصائص هي إيقاعية الصورة، أو بالأحرى اتجاه الصورة من منطلقي الماضي والحاضر إلى استشراف المستقبل، ومن الأمثلة على ذلك في شعره قصيدة (المخبأ):

.. خذ الطّائر الأزرق الرّيش
خذ كلّ أعيادنا القافزات إلى زركشات القرى
خذ متاحف أسلافك الغامضين
خذ العشّ والقشّ.. خذ قلبي الهش
خذ رعشة الارتباك إذا ما التقى عاشقان،
خذ الصّبية القافزين إلى بركة النّضح،
وخذ ثنية الرّكبتين.. إذا حاولت مهرةٌ أن تطير،
وخذ حلوةً حنّنتنا بذيل الحصان

ويستحضر البرغوثي في أغلب قصائده الموروث الديني والشعبي والأسطوري والتراثي والتاريخي والوقائعي، حيث يطغى التوتر والتضاد من خلال الاستحضارات الغائبة والمدلولات الحاضرة التي تكون طاقات مولدة تغذي النص، وقد أفاد البرغوثي من تجربته الغنية الحافلة/ وثقافته الواسعة في اللغة الإنجليزية من الاطلاع على تراث الغرب الشعري، وأساليبهم المبتكرة في التشكيل النصي، من خلال ابتداع نصوص ذات طاقات أسلوبية متجددة، تؤكد براعته، وتحريكها النسقي ضمن النسق الشعري

الواحد، وهذه الخصيصة تعد من خصائص النصوص البديعة ذات التكثيف الإيحائي/ والومض الشعوري العميق، كما في قوله:

.. يا حبيب المحبّين:

إنّا امتحنّا كثيراً، وإنّا امتحنّا طويلاً،

فرحماك يا خالق الحاكمين، ويا خالق النّاس،

يا خالق الوحش.. والسّوسنه

كلّما كسر البرق بلّوره في الأعالي

اشتهيت أقلّ قليل الحياة،

فما لاح لي غير موتى..

بلاداً أسمّيك.. أم غولةً.. يا بلادي!!؟

فهلّا تركت لنا فسحةً كي نطيل البكاء قليلاً على الميّتين!!؟

وهلّا تركت لنا فسحةً كي نهيّء فوجاً جديداً:

من الذّاهبين إليك بأكفانهم راكضين!!؟

وهكذا، فقد استطاع البرغوثي باقتدار ووعي كبيرين منذ مطلع السبعينيات من القرن العشرين وإلى الآن، أن يشق لنفسه مجرىً خاصّاً به في أرخبيل الشعر العربي، وظل شعره ينبجس من نفسه سلسلاً كما ينبجس الماء من النبع في قلب الصحراء لينشر الحياة من حوله.

صفوة القول، إن صوت الشاعر (مريد البرغوثي) صوت ثوريّ نقيّ وأصيل ودائم التجدد، لا يستقر على حال شعريّ أبداً، فيه من العاطفة الفنية الصادقة بمقدار ما فيه من الصدق الوطني والصدق الثوري، وهو علامة مضيئة ذات إشعاع باذخ بهيّ في مجموع المدوّنة الشعريّة الفلسطينية المعاصرة، وتبقى عوالم البرغوثي أوسع وأغنى من أن تفتحها هذه القراءة، كما أنها تتطلب المزيد من الجرأة على ارتياد آفاقها والكشف عن مرجعياتها، وربما كان الكشف عن علاقتها بالمنفى هو الأشد إلحاحاً، إذ ما تزال طبيعة هذه العلاقة وتفاصيلها تنطوي على ما يفتح المجال لقراءات واجتهادات كثيرة.

ونستخلصُ من هذا كله، أنه وعلى الرغم من مرارة المنفى فقد ظلَّ الشاعر مريد البرغوثي عظيم التفاؤل والأمل بالعودة إلى وطنه السليب، آمن بذلك إيمانه بالحياة، وصوّر صادقاً في شعره، أحاسيس أبناء شعبه العظيم وآمالهم في التحرر؛ ومهما يكن من أمر، فإن شعر مريد البرغوثي بسيط الألفاظ، سهل التعبير، سلس التركيب، واضح الدلالة، يعتمد الصورة البسيطة في تجسيد الموقف وشرح الفكرة، وهو شعرٌ يتصل في معظمه بالمقاومة والتضحية والفداء والاغتراب والحنين إلى الجذور، ويمثل اللهفة الحارة للعودة إلى حضن الوطن السليب.

---

* ناقد من الأردن.

الإخوةُ الستةُ في رواية (الصيادون)

■ ليلى عبدالله*

بات الأدبُ النيجيري لسنوات مديدة مرتبط باسم الروائي "تشينوا أتشيبي"، أبو الأدب الإفريقي، والواجهة الأوضح لولوج عالم الثقافة النيجيرية المعاصرة، والشاعر والكاتب المسرحي" وول سوينكا" الذي حاز على جائزة نوبل في الأدب، وهو أول إفريقي تم تكريمه في هذا المجال، ينظر إليه على أنه أفضل كاتب مسرحي في إفريقيا، وقد لعب دورًا فاعلاً في تاريخ نيجيريا وكفاحها السياسي.

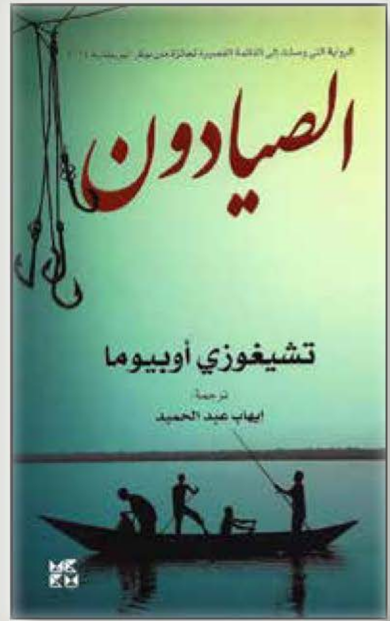
لكن الأدب النيجيري وعبر الترجمات الحديثة يثبت أن هذا الأدب تفرّع منه غصون مورفة، لها صوتها، وملامحها، وخصوصيتها الأدبية، وعلى رأس من برز صوتٌ فريدٌ في نوعِهِ، صوتٌ حكائيٌّ نسائيٌّ في عالمٍ لا يؤمن بقوة النساء، بل لا يؤمن بمدى فاعلية وجودهن. وهنا، تكمن الغرابة.. لكونها امرأة تنافس الرجال في الكتابة في مجتمعات تغدو مكانة المرأة فيها في الحضيض، كما أشرنا آنفًا، هذه المرأة هي الروائية "تشيماماندا نغوزي أديشي".

تقول عن نفسها: "أدركت أن أشخاصا مثلي- فتيات، بشرتهن لها لون الشكولاتة، واللاتي لا يمكن عقد شعورهن المفلفلة على هيئة ذيل حصان- يمكن أن يظهرن في الأدب أيضا. فبدأتُ الكتابة عن أمور أعرفها".

الأدب النيجيري يظل يفاجئ القارئ، هو أدب ولاّد وخلاّق، ها هو يدهشنا باسم جديد، له حسّه الخاص، يروي حكايات من صميم المجتمع النيجيري، وتطلعات هذا الشعب نحو مستقبل فريد في نوعه وله خصوصيته، هذا الصوت هو الروائي الشاب "تشيغوزي أوبيوما" وروايته العامرة بالتفاصيل "الصيادون" وصلت إلى القائمة القصيرة لجائزة مان بوكر البريطانية عام ٢٠١٥م.

روايته "الصيادون".. تتحدث عن عائلة نيجيرية من قبيلة الإغبو؛ أبٌ يعملُ في البنك النيجيري الوطني، وأمٌّ تعملُ أيضا في متجر، لهما ستة أطفال، هم: إيكينا، وبوجا، وأوبمبي، وبنجامين، والصغيرين ديفيد ونكيم.

أسـرة تعيش بود، وتسود روح الأخوة والمحبة بين أفرادها رغم صرامة الأب الدائمة، لكن كل شيء ينقلب حين يسافر الأب للعمل في مكان بعيد عن البيت وتغدو زيارته أسبوعية مع الأيام.. تصير كل أسبوعين، فيخرج الأخوة للصيد في غياب الأب وانشغال الأم في عملها، يحملون صنانيرهم للصيد في نهر تلاحقه



الشائعات عن لعنته، ويبقى الأمر سرًا حتى يكشف أمرهم للأم عن طريق جارة تتعرف على أبنائها حيث هم قابعون للصيد، تتكشف الحكاية ويتعرض الأخوة للعقاب على يد الأب الصارم ولاسيما أكبرهم إيكينا، الذي يمثل ثقل الرواية وعقدتها الأكبر، ويستحيل من أخ طيب وحنون إلى مسخ حقيقي بسبب نبوءة يطلقها رجل معروف بالجنون، رجل يدعى "أبولو" الذي يصادفونه عند النهر، حيث كانوا يصطادون، هذا الرجل الذي عرف بالغرابة واشتهاء النساء.. حتى أنه يغتصبهن على مرأى من الجميع دون أن يجسر أحد على التعرض له خوفا من إطلاق لعناته التي تصيب غايتها بمجرد ما يخرج من فمه، هو نفسه الذي يفاجئ ايكينو بنهايته، بموته على يد أحد الصيادين، فيعيش ايكينو على وهم أن الصيادين الذين سوف يقتلونه هم إخوته لاسيما " بوجا" الذي يصغره بعامين، فهو في الخامسة عشرة وبوجا في الثالثة عشرة، تبدأ هنا بداية المأساة التي تحيق بالعائلة كلها وتدمرها، بدءًا من معاداة ايكينو أخيه "بوجا"، تتملك عليه فكرة هلاكه على يديه وهذا ما سيحدث، الخيال السيئ الذي ينهيه حقا على يد أخيه "بوجا" بعد عراك عنيف في أحد الصباحات، حيث لا أحد في البيت سوى "أوبمبي" و"بنجامين" اللذين يسعيان لرجل بالغ ليفك بين الأخوين المتعاركين، لكن حين يعودان مع المساعدة يكون كل شيء قد انتهى، ايكينا يسبح في بركة من الدماء الحمراء كما تنبأ المجنون " أوبولو"، و"بوجا" يختفي عن الأنظار سرعان ما يجدون جثته المنتفخة من ماء البئر حيث أوقع نفسه!

استعان الروائي لسرد حكايته بصوت واحد، الراوي هو "بنجامين" أو "بن" الذي يدفع ثمن صراع أخوته طوال الرواية، ويدخل السجن ليقضي فيه ستة أعوام؛ فبعد موت أخوته يعزم "أوبمبي" على الانتقام لأخوته من المجنون "أبولو"، ويمضي في انتقامه، ويقنع أخيه الصغير "بن" الذي يصغره بعامين، حيث يكون في الثانية عشرة، وحين يتم فضح جريمتهما يختار "أويمبي" الفرار بينما يختار "بن" البقاء؛ إكراماً لوالديه.. لاسيما أمه المكلومة. فيقع في قبضة القضاء، ويقضي مدة عقوبته في الحبس حتى يبلغ السن القانونية.

"الصيادون" رواية مروّعة، تعكس صراع الأخوة، وكيف أن المحبة قد لا تشفع حين تتنامى الأوهام العبثية في العقول وتتمكن منها كليًا، تجرف معها كل شيء، فلا تخلف وراءها سوى الدمار القاتل، الدمار المهول، الدمار يوشم الذاكرة ندوبًا في الأفئدة المحطمة.

رواية تمثل الوطن وخلاف أبنائه فيما بينهم رغم أنهم متوحدون في كل شيء، وأرضعتهم الأم نفسها، وكانوا يهتفون باسم الأب نفسه، لكنها الأوهام والمطامع التي تدمر الكيان الإنساني وتحطم أواصر المحبة لتكون النهاية مأساوية ومدبوغة بلعنة أبدية!

---

* كاتبة من عُمان مقيمة بالإمارات.

شعرنةُ الألم
في ديوان "جنازة الغريب" لعبدالله السفر

■ هشام بنشاوي*

يغمر نصوص أضمومة الشاعر عبدالله السفر "جنازة الغريب" شعور أليم بالغبن والاغتراب، وكأن صاحب "يفتح النافذة ويرحل" يصغي إلى نحيبه الجوانيّ المكتوم، وقد كتبت هذه النصوص الشعرية بروح متمردة، ونبرة حزن فادح، تتأرجح بين "قلق التجريب وطمأنينة المحاكاة"، تشي بألم وجوديّ، وقلق أنطولوجيّ يسكنان الذات الشاعرة ويعتصرانها؛ والسبب "لوعة الغياب" الضارية، التي يتكشف عنها رحيل الأحبة، والأشياء الجامعة مع من غادر أو بقي، لكن زمن التحولات جعله برسم المغادرة، واختفاء الأمكنة وعوالم الطفولة؛ كل ذلك حفر بابًا للنزيف وفتحه، ولا سبيل لرده وإحكام الرتاج. "وربما هذا ما يضرم من جهة غير معلومة روح الاحتجاج و(الحرد) لعل غائبا يعود أو طيفه؛ يلطف جهامة الفقد والنقص الذي يثغر الفؤاد والجسد"، كما صرح بذلك الشاعر في أحد حواراته.

في نصوص "جنازة الغريب" يحتفي عبدالله السفر بالتفاصيل، التي تستوطن ذات الشاعر، المتخمة بالحنين، "وتحكي للعابر سيرة الجرّاح"، وهو ينهل من معين التجربة الإنسانية، يهرب من رتابة اليومي، وقتامة سجن الألم والوحدة، ويطلب اللجوء الوجداني إلى الطفولة، الزمن البكر الجميل.. ويرثي الزمن الحاضر، الرتيب والكئيب، بـ"لغة مسترسلة، تقوم نواتها الداخلية على سرد ناقص، تغيب فيه الحبكة ويحضر الترميز".

والعنوان العتبة يلعب هنا وظيفة الإيحاء بالطقس الشعري العام، وفي الآن نفسه يختزل العالم في عبارة تحفّز على البكاء، بتعبير د. إبراهيم الحجري، "والموضوعات النصية متعددة، لكنها في الغالب توحي بهذا الإحساس: الأثر المحزن الذي يبثه طقس إقامة جنازة للإنسان البراني، بعيدا عن وطنه، الذي قد يكون مجازًا محيلاً على المغترب الفعلي، وحينما يصدر الديوان بهذا الدال الرمزي الغني، يصبح له طعم مرارة خاصة، تختزل مساحات هائلة من الحزن والأسى والألم".

وبنبرته الكئيبة، المتشائمة، يسحبنا عبدالله السفر إلى أتون عالمه الداخلي، فنصغي إلى نحيبه الخافت، المدعّم بثراء الصورة، وزخم العاطفة، وكثافة الموضوع. وعلى رغم اعتماده تقنية التداعي السّردي الحرّ، إلاّ أنّ بصمته كصانع استعارات ظلّت مهيمنة، حتى إننا نظنّ أن هذا الألم الوجودي الذي يعتصر الأنا، وتدور حوله معظم القصائد، كما يقول عابد إسماعيل:"ينبعُ أساساً من اللّغة التي تتضوّر وتبكي وتنتحب، متجاوزةً القلب المكلوم الذي يدقّ من خلف الحروف".

هذا الشعور باللا إنتماء يفتتح القصيدة الأولى "عبير النعناع"، ويرسم طقساً فاحماً، يقلق طمأنينة الذات في العالم:

"كان للّيلِ كثيرٌ من الجمر ليضاعفَ الهبوب./ كنا في المهبّ الجميل/ كنا على ربوة مختلسة/ كنّا نحضنُ أيامنا".



هذا التكرار للفعل الماضي الناقص ومرادفاته، يشير إلى أزمة الكائن في الكينونة، حيث تتحول اللحظة حدثاً يمضي باستمرار، ما يسهم في رفع وتيرة النوستالجيا في الديوان، ويعزّز مسافة التوتّر بين الأنا وموضوعها: فتكثر إشارات الحنين والوحشة والفقدان، "كأن الزّمنَ لم يكن"!

في القصيدة الثانية "يخلون سرير محبّتهم"، يستعدّ المتكلّم لطقس من الهجران الطويل، وتطل الأشرعة الممزّقة على الشاطئ، إيذاناً بسفر غامض، ويتهافت العالم برمّته إلى مراكب مخلّعة، حيث الغياب يطرّز شغاف الروح المهاجرة:"ريشٌ في الهواء. يثقلُ. يحطّ. يأتيه الدّمع من كلّ مكان. يثقل. يحطّ".

في قصيدة أخرى، أكثر ذاتية، في عنوان

"المنسي في دفتره، وحيداً"، يتصاعد هذا الشجن، وتبرز رغبة النزول إلى قيعان الجحيم، ورسم صورة دامية لمصير الإنسان على الأرض:"الهاوية تلتهمُ روحكَ، والصورة مخلوعةٌ من مائها". هذا الدوران حول الذات، والتشرنق حولها، يسهم في ابتكار رومانسية تشاؤمية ترى العالم جحيماً قوامه القحط واليباب. تبكي الذاتُ خسرانها لمركزها، وترثي الأرض التي هوت عن محورها، أو سقطت عن قرنيّ الوحش، وغرقت في ظلام الخطيئة: "بلا بوصلة. بلا مرفأ. يتركُنا الوحش". حتى إنّ الذات تتعرض للانشطار الداخلي، وتصبح مطاردةً بالفخاخ، حيث أمام كلّ خطوة حفرة، وفي كلّ ليل شبح: "كلما حطّ قدماً، تناهبته الفخاخ. واندلعت شفة الهذيان عن أشباح يخطّون المراسيم". إن الأنا المغتربة، المفكّكة، المنزاحة عن مركزها، تجد نفسها دوماً سابحة في فراغ اللامعقول، طافية على سطح الوجود، مثل قشة في مهبّ الريح، حيث تتفتّت الموجودات إلى صور غائمة، ضبابية، محكومة برحيلها الوشيك، ما يعيد إلى الذهن تلك الأجواء المكفهرّة لعوالم سارتر التي تتّسم بالعبث والقسوة، حيث الكائن الإنساني يولد في فراغ، ويعي مصيره المأسوي عبر سقوطه التدريجي في وحل اللامعنى. هذا ما يشير إليه السفر في حديثه عن بطله المهزوم، قائلاً: "يفضحهُ الدوار، تكشفُهُ الأنفاسُ المخذولة. تغيم الوجوه في الضباب"(١).

ويعد محمد الحرز شاعرية نصوص "جنازة الغريب" لا تُمدح من كونها فقط تشد خيط المخيلة عالياً، بلغة تقتصد كثيراً في اللفظ وتسرف في الدلالة والإيحاء، بل إن الإحساس بالزمن هو مصدر آخر لشاعريتها.

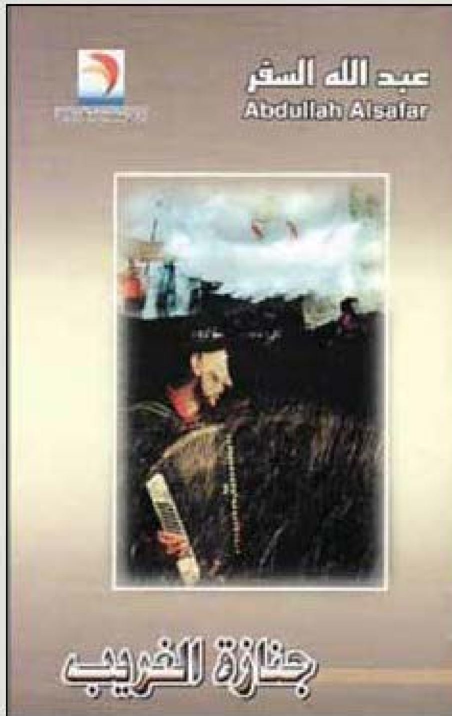
وهي بدورها مصدر ثرٌّ للحياة بحضورها الكثيف في نسغ المجموعة. الألم والجفاف وسواهما من المفردات التي تقترب من معناهما عنده، تشير بصور كبيرة إلى الصلة بهذا الإحساس، ولكنها إشارة تحوّلُ المفردة إلى رؤيا تشد النص إلى نفسه، وليس إلى مجرد لحظة عابرة؛ أي أن مفردة الألم على سبيل المثال لا تتموضع في النص بوصفها مفردة لا تتجاوز دلالاتها الجملة الشعرية، وإنما تتموضع بوصفها نسيجاً من المجازات تتلون دلالتها بتلون مسار النص نفسه؛ وبالتالي هنا لا يكون الألم تعبيراً عن مجرد تفجّعات ضد مثالب الحياة وقسوتها، وإنما هو تعبير عن موقف ضد الألم نفسه بحيث يتخطى به من دلالة الألم الجسدي إلى ما يمكن أن نسميه بـ"دلالة الألم الشعري". انظر إلى نص"تسديد الألم في مرمى الأحبة"، وكذلك نص"الجرة" فهما يشيران إلى ذلك بوضوح.

إن ضغط الإحساس بالزمن ومن ثم بالحياة على اعتبار أن الأولى هي آلية الحركة للثانية ونبضها، لا تكف عن العمل بطرق ثلاثة جميعها تفضي إلى شاعرية عبدالله السفر في مجموعته سالفة الذكر. أولى الطرق الإحساس بزمن الأصدقاء، ثانيها الإحساس بزمن الأمكنة والطفولة، وثالثها الإحساس بزمن تحوّلات الذات(٢).

إن أنا شعرية موصولة بخصالها

الأونطولوجية النعائية ومنذورة لزمن شعري مستحيل لتتوجد مورطة في زمن أرضي يقتضي منها اعتناق مواطنة أرضية صائحة وخانعة لا ينغّص عليها قلق كياني خلاّق أو ارتجاج روحي صميم؛ مّا يصنع وجدان الذوات الأصيلة، المتطلّبة، مواطنة يتخذ فيها المعيش نكهة موت مقسّط أو بالأدقّ، دربة على موت عن الآخر لن يفلت ميقاته المرصود، يخبط خبط عشواء في رهافة خزف الكينونة ويعيث فتكا في الأبدان والمهج، أنا شعرية كهذه ليس من مخرج أمامها، إذاً، سوى أن تلتفّ على زمنها الصّلد هذا، أن تناوره، امتصاصّا منها لسطوته وتجبّره، وذلك باستلال برهات حميمة، تغمرها الصّداقة الوارفة وتزدهي ببهاء الاستذكار، يؤثثها الحلم الحبوري وتتدثّر بشجيّ الغناء، تحفر في جسد اليومي، الذي يلبس داخل هذه البرهات الخاطفة لبوسًا كونيًا مستعرا، إذ "... اليومي في قصيدة النثر (...) يمثّل الجوهر وليس العرض (...) وهو بمثابة ذلك يعدّ مدخلا لقراءة الوجود بالكامل، من زاوية كونه يحقّق مقاربة تقوم على تحويل اليومي إلى كوني وبالعكس"؛ سبلا بديلة إلى الطّزاجة، الاعتفاف، والمحبّة، المضمخّة بعبير نعناع مقتطف من نضارة فردوس الدّخيلة، لا من بوار وقحط زمن أرضي، قد يتقنّع بقناع نادل يدمن محو الكينونات، والإعفاء على آثارها الدّالة والجميلة:

دارت كؤوس الشاي. طاف عبير النّعناع،
ومن كلّ فجّ



هبطت الذكريات.
نعيد ترتيب المشهد. نرفع القطع الذّابلة من السنوات
نرفو ما كان مهترئا. نصبّ زبدة المشاعر ليلمع المكان
فتفيض أنواره

....

إبريق الشاي يوشك على النفاد
أعواد النّعناع ترتخي أعناقها في قعر الكؤوس
ابيضاض الفجر يبلغنا تعب النادل،
وفوطته تكنس
الرّاحلين.
عبثا نقاوم
نجرّ أقدامنا. نعلم، يقينًا، أنّ النادل سيكنس ما بقي

منّا ماكثا من أثر كؤوس الشاي وعبير النّعناع. (قصيدة "عبير النّعناع"، ص ٧-٨).

وبالمثل، ونزولاً عند مشيئة القصيدة لمكانيّتها المستهامة، فإن "أنا" شعرية مجبولة على خصالها تلك لن تتورّع عن التأفّف من مكانها الأرضي الممنوح، من مسقط رأسها الرمزي الذي ليس أكثر من صحراء مترامية، بياض حالك، من انفصاح وتلغّز في آن معاً، وذلك حدّ الانصعاق، فتستعيد الذات الكاتبة، من موقف التآزر مع أناها/ قناعها الشعري، عين التّمثل الفجائعي العتيق الذي كان أن انبثقت منه قصائد أولئك الأسلاف المبهرين، النّيرين: امرؤ القيس، الحارث بن حلّزة، النابغة الذبياني، زهير بين أبي سلمى، طرفة ابن العبد، أميّة بن أبي الصّلت..؛ وهم يموضعون الكلام الشعري موضع ندّية بإزاء وحشة وشراسة صحراء في هول صحراء شبه الجزيرة، أو الأحفاد النّجباء، من أمثال الشاعر الإيطالي جويسيبي أونغاريتي (قصائده في صحراء مصر) والشاعر الفرنسي لوران غاسبار (قصائده في صحراء تونس)، وهم يستمرئون معضلات راهن الوجود الإنساني وكبريات مؤرّقاته في تراحبها وصمتها الميثولوجيين. هكذا تتراكب، في الموقف الشعري الذي يعنينا، فلاتان اثنتان، فلاة مسقط الرأس الرمزي وحيث انمساخ المكان وتحوّله، ضدّاً على ما تودّه له الذات كموئل للذاكرة، إلى مجرد خراب مبهرج، اصطناعي، ومرسمل تلطّخ فيه عفونة النّفط نداوة النخل واليقطين والزّعتر، "... فنصوص السّفر تتوارى خلف لغة شعرية صلاتها رحيمة بالمكان وثقافة المكان والشاعر مسكون بصوت تلك اللغة (...) صورته الشعرية طافية برماد المكان"[٣].

من قصيدة: "ها أنت على المشارف" نقرأ:

ماذا كنت تظن، وأنت تترجّل في الغبار وتدفع بقدميك في أرض تميد.

حراسك الوحدة وبضعة وجوه تستحضرها من همس الورق بحبر باهت؛

يخفى.. يتخفى حتى عنك. أتظنه العمر هذه الكتلة التي تداريها وهي تنفش ريشها

الذاوي الذاهب في الرماد والاتساخ. سوف تعجز. يضربك العجز. هل نظرت إلى اليدين، شقّقهما سواد التعب. سددتَ السهم إليهما تحملان الحطام من باب العام إلى باب العام. الشرخ طويل وموجع.

تقف بجناحين ضاويين وسريرة مشقوقة؛ نثارها بعدد أوراق التقويم محقونة

بالخيبات لانتظار ما عاد انتظارا سوى أنك تعوّدت على طعمه المرّ

كشايك الذي تقترفه كل صباح مخلوطا بمرارة التكرار

ومقعد الوظيفة سترة الأولاد ولقمة الحياة.

تتعقل كثيرًا قبل أن تركل المقعد
وتلتمس هواء الجنون لمرة واحدة
وحيدة

تدفع بالمتكأ وتهمس للريح أن تضمك
تطويك إلى غير هذه الأرض.

تقف.. زادك اللعثمة وبحر الحيرة
يصفعك بملحه أية حفرة جديدة
تستضيف أيامك.

أحقًا بقي لك أيام تستضاف. لكنها
حفرة وعليك ألا تستمهلها وألا تطمع..

تعرف مهما داورت وأبطأت الخطى؛
فالحواف الزلقة تجذبك بدبقها

الذي حسبته يوما العسل والبهجة وحلو
القطاف.

كنّاس الذكريات يتقصى أوراقك
بممسحة ومقص وبرميل

تتداعى لهبوب لا يستره ثوبك المشقوق.

المنديل الرطب لا يجف أبدًا من الوداع.
تهزه مرات تلوح به في مرارة الهواء

حيث العابرون يحملون شموس
ضحكاتهم وظلال الأيدي التي استرخت
طويلاً

على طاولة المنادمة والحكاية التي
أزهرت قبة؛ حبستها أضلاعًا تقيك ما
يلي

من برد يتفلت من ورق التقويم ينيخ
عليك ورقة إثر ورقة.

كأن أيامك لم تُرصد إلا لليل يتنفس
العراء يقلّب هذا النائم في ذهول
الصحوة والانتباه؛ أنه لا يمر.

في هذه الحلكة أنت المُبدد في سرير
الوحشة لا بريق لا رنين.

هو الحنين فحسب في هذه الحلكة،
عبرتَ النهر مرة وإلى الأبد،

أقمت عند شجرة مسلوخة تدعي أنها
عمرك تنفض عليك صفرة الأوراق

وتهيل وجوها قضت في النسيان.

ها أنت على المشارف لا تنتظر من
يدفعك

ورقةُ التقويم. حفيفُ الورقة الأخيرة.
النفسُ الفقيرة. أُلهيةُ الأمل وضجره.

---

* كاتب من المغرب.

(١) عابد إسماعيل، الشاعر السعودي عبدالله السفر في ديوان جديد. "جنازة الغريب" بين قلق التجريب وطمأنينة المحاكاة، جريدة الحياة، الرياض، ٢ يوليو ٢٠٠٨م.

(٢) محمد الحرز، جنازة الغريب.. الارتقاع بالواقع إلى مصافي المخيلة، جريدة الحياة، الرياض، ٥ مايو ٢٠٠٩م.

(٣) بنعيسى بوحمالة، نداء الهاويّة، مقاربة لديوان «جنازة الغريب» لعبدالله السّفر، جريدة العلم، الرباط، ٨ مارس ٢٠١١م.

لمعاتٌ موضوعيةٌ على رواية

النمر الأبيض

لأرافيند أديغا الهندي

■ محمد منصور الهدوي*

"النمر الأبيض" الرواية الهندية الحائزة على البوكر عام ٢٠٠٨م، وهي بداية كتابات آرافيند أديغا الكاتب الهندي، والتي تعد بداية موفّقة للغاية، وقد اختار موقعًا من الهند وجانبا من الحياة الواقعية التي لمسها، فأراد إخبارنا بما في الهند من مجاعات وفقر وحرمان، بكلمات مستوحاة من الحقيقة تحدث عن طبقات المجتمع، فمنهم مَن يعيش على هامش الحياة! ومنهم مَن لا يستطيع توفير وجبة واحدة ليومه؛ في المقابل، ثمة فئة تعيش الثراء الفاحش، ببطل صبي يكافح من أجل العيش... فالرواية بمثابة حكايات إنسانية تكشف عن واقع مرير وفساد مشبع بالمؤامرات.

الرواية لها طابع خاص يتميز به الكاتب من تفرد في السرد ومحاكاة الألم عبر حروف بسيطة سلسة للقارئ وإن كان صغيرًا فحسب! وهنا أحاول أن أتجاذب أطراف الحديث نحو أبعادها الموضوعية ومحاورها المركزية كما يأتي:

البرطلة في الهند

يعرض أرافيند أديغا طوال سرد بالرام خلال روايته الممتازة "النمر الأبيض" أو الهند في زمن التحوّلات باستمرار انتشار الفساد في جميع مؤسسات الهند؛ فالمدارس والمستشفيات والشرطة والانتخابات والصناعات وكل جانب من جوانب الحكومة فاسدة تمامًا! في حين أن ممارسات مثل الرشوة والاحتيال شائعة تمامًا. نهج بالرام في هذه الحقيقة ينطوي إلى حد كبير على دعابة ساخرة للغاية. ومع ذلك، هناك

عنصر قبيح إلى قوس شخصيته. من أجل الهروب من "الظلام" والدخول في "النور"، يجب أن يصبح بالرام نفسه جزءًا من هذا النظام؛ ومن ثَمَّ، فإن فوزه مرموق. في حين أنه نجح في رفع وضعه الاجتماعي، فإنه ما يزال يعيش في بلد مشلول بالفساد؛ ما يحول دون حدوث تقدم حقيقي. يبدو أن نقطة أديغا النهائية هي أن الفساد يولّد بالضرورة الفساد، إلا إذا كان هناك ثورة أكبر تستعيد المجتمع.

العولمة أو الوافدين الأجانب

الهند التي وصفها بالرام في خضم تحول كبير، بشرت جزئيا من قبل ظهور العولمة. وتجد الهند نفسها على مفترق طرق التطورات في ميادين التكنولوجيا والاستعانة بمصادر خارجية، حيث تتكيف البلاد لتلبية احتياجات الاقتصاد العالمي. يعترف بالرام ويأمل في ركوب هذه الموجة من المستقبل مع شركته البيضاء النمر سائقي تكنولوجيا الأعمال في بنغالور، ولكن هذه القوة من العولمة لديها عنصر أغمق بالنسبة له أيضا. فهو يهدد ويحرم أولئك الذين يلتزمون بالطريقة التقليدية للحياة، مثل أسرته في لاكسمانغاره. وبالتالي، يجب عليه تغيير مَن هو من أجل المنافسة في هذا العالم الجديد. وبالتالي، يستحضر أديغا بشكل واضح التوتر بين الهند القديمة والجديدة؛ ما يشير إلى أن النجاح في هذا العالم (كما فعل بالرام) يتطلب موجة من التنازلات الأخلاقية والشخصية.

الحراك الاجتماعي

يناقش بالرام في كثير من الأحيان قضايا الحراك الاجتماعي في التسلسل الهرمي الاجتماعي الجديد في الهند. بعد أن عثر على فيجاي من الطفولة، يعترف بالرام بإمكانية التحرك صعودًا في العالم، ولكن عليه أن يواجه واقع هذه الحركة طوال قصته. واحدة من القضايا الكبيرة هي كيف تغير النظام الاجتماعي في الهند. في ظل نظام الطبقات، مصير الناس كان محدداً سلفا، لكنها كانت سعيدة، معتقدين أنها تنتمي إلى مكان ما. ومع ذلك، فإن الهيكل الاجتماعي الجديد يعد بإمكانية الحراك الاجتماعي، ولكنه في الواقع لا يقدم سوى قسمين اجتماعيين: الأغنياء والفقراء. ويحتفظ الفقراء في حالة أبدية من الخضوع والعبودية للأغنياء من قبل الآلية التي دعاها بالرام ب "الديك التعاون". ومع ذلك، فهي الآن أكثر سعادة؛ لأن هناك إمكانية للحراك الاجتماعي التي ما تزال مع ذلك من متناول أيديهم. يجد بالرام في نهاية المطاف وسيلة للكسر من كوب الديك، لكنه يتطلب منه أن يطعن في أخلاقه وشخصيته - عليه أن يقتل سيده ويخون عائلته. إن الحراك الاجتماعي هو شبح يتم القبض عليه فقط من خلال هذه الوسائل الصعبة، هو تعليق على الواقع المؤسف لعالم يبنى أكثر على القيود من الإمكانية.

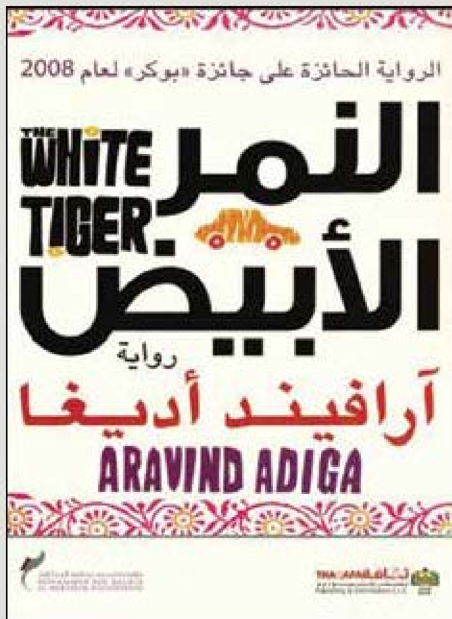
الهوية

النمر الأبيض هو إلى حد كبير قصة من الأزياء الذاتية، كما تمر بالرام رحلة تحويلية لبناء هويته الخاصة. مستوحاة من بطل طفولته، فيجاي، الذي ارتفع أيضا من خلفية

متواضعة لتحقيق النجاح في المستويات العليا من المجتمع الهندي، بل يكرس نفسه لتحسين الذات، لدرجة أنه على استعداد لتدمير الذي كان مرة واحدة. وهو يرى الهوية كسوائل وقابلة للارتداء، وهي حقيقة موضحة من خلال العديد من التغييرات التي يستخدمها في جميع أنحاء القصة. في نهاية المطاف، حتى أنه يختار هوية جديدة لنفسه في التقليد من سيده، ودعا نفسه أشوك شارما. ومع ذلك، فإن الرواية مليئة بالسخرية المذهلة التي تكشف عن أن بالرام لا يمكن أن ينكر تماما الشخص الذي كان في السابق. وهو ما يزال مليئا بالذنب الذي لم يتم حله والخرافات الإقليمية. يذكرنا بأنه في حين أن الهوية قد تكون مائعة تماما، فإنها أيضا غير منقولة تماما أيضا.

الأخلاقيات

في نهاية المطاف، النمر الأبيض هو حكاية عن الأخلاق: ما يشير إلى أن الأخلاق يمكن النظر إليها إما جامدة أو مرنة. تحتضن بالرام في نهاية المطاف الخيار الأخير، من أجل تبرير قتل أشوك والمخاطرة بحياة عائلته، يطور بالرام نظاما أخلاقيًا بديلا. وهو يفسر أن المال الذي يسرقه من أشوك هو حقه، لأن الخدم يستغلهم الأغنياء، ويقنع نفسه من استثنائيته باسم 'النمر الأبيض' من أجل ترشيد قراراته. الاعتقاد أنه هو الوحيد الذي استيقظ حقا إلى حقيقة 'روستر كوب'، وقال إنه يشعر مضطرًا لتغيير حياته. في هذا المعنى، أصبح بالرام نسخة من نيتشه 'أوبيرمنشش'، أو الإفراط في الرجل، الذي



يعتقد نفسه ليكون فوق القيود الأخلاقية والقانونية للمجتمع. أديغا يطرح سؤالا من خلال بالرام: هل نلوم المجرم على قراراته، أو أننا نحاول أن نفهم تلك القرارات كردود فعل على مجتمع قمعي وتقييد مفرط؟ على افتراض أن القارئ ليس لديه إجابة نهائية، يقترح أديغا أن الأخلاق هو مفهوم السوائل وغير المثبتة.

أزواج وثنائيات

النمر الأبيض يزخر بحالات الأزواج المزدوجة والثنائيات، كل منها يقابل نصف الانقسام المركزي: نصف الهند الغنية والفقيرة. بالرام يطرح الهند كما كسر إلى قسمين، 'الظلام' و'النور'. ومن أمثلة الأزواج التوأمة من كل من هذين النصفين: 'الرجال ذوو البطون الصغيرة' و'الرجال ذوو البطون الكبيرة'؛ المستشفى الذي يموت فيه والد

بالرام ومستشفى المدينة الذي زاره اللقلق؛ عاهرة شقراء جميلة زارها أشوك والقبيح، عاهرة شقراء "فو" التي استأجرها بالرام؛ والمبنى السكني في دلهي وأربابها أرباع أدناه؛ وإصدارين من جميع الأسواق في الهند (واحد للأغنياء، وأصغر طبق الأصل للخدم). أهم هذه الأزواج التوائم هي، بطبيعة الحال، أشوك وبالرام أنفسهم. تقول إنّ بالرام، الراوي، ينظر إلى العالم على أنه منقسم إلى نصفين. وهو يكشف إلى أي مدى أدى القمع إلى تدمير رؤيته للعالم.

وهناك وسيلة أخرى تستكشف أديغا هذا الموضوع من خلال مرآة الرؤية الخلفية الرمزية، التي تضاعف كل شيء من خلال انعكاس، وبالتالي تعمل كقناة للمواجهة بين أشوك وبالرام. هذه الصورة بالذات تشير إلى أن الهوية يمكن نقلها عبر الانقسام – يمكن للمرء أن ينتقل من منطقة إلى أخرى. وهناك حالات أخرى من الازدواجية في النص تسلط الضوء على مدى تحول بالرام؛ على سبيل المثال، فإن حادثين من السيارات (ضرب بينكي مدام ووفاة طفل عند ركوب الدراجات) تثبت فقط أنه آن الأوان ليصبح "بالرام" رجل أعمال ناجح. وكان بالرام مرة واحدة بيدق في اللعبة، في حين أنه في هذه الحالة الأخيرة وجد السلطة لتكون ممثلة لل "ضوء" أكثر حظا.

الأسرة

الأسرة الهندية الممتدة تلعب دورًا مهما بشكل لا يصدق في الطريقة التقليدية للحياة في الظلام. الأسرة هي الوحدة الاجتماعية الأساس؛ لذلك، من المتوقع أن يتصرف جميع أعضائها مع التفاني نكران الذات لمصالحها. على الرغم من أن الفقراء ينظرون ظاهريًا إلى هذا البناء بوصفه قوة، ويأتي بالرام فيرى أنها طريقة أخرى من خلالها يتم احتفاظ الفقراء في "الديك التعاون". أولا، توقعات الأسرة فرض القيود التي يمكن أن تلغي الطموح الفردي (كما يفعلون تقريبا مع بالرام). وعلاوة على ذلك، بما أن عصيان العبيد يزور عائلته، فإن الخدم يظلون محاصرين بأهواء أسيادهم؛ ويصبح التنقل الاجتماعي مستحيلا. من أجل تحرير الحياة والعيش، حياة رجل أعمال ناجح في بنغالور، وهي مدينة تمثل الهند الجديدة، يجب على بالرام التضحية بعائلته. ويبدو أن هذه العبارة تشير إلى أنه من أجل أن تزدهر في العالم الحديث وتقبُّل إمكانات الهند الجديدة، يجب التخلي عن هذا الارتباط التقليدي بالأسرة لصالح التركيز الجديد على الفردية!

---

* .

(١) أرافيند أديغا Aravind Adiga: روائي هندي ولد في مدراس عام ١٩٧٤م، ونشأ في مانغالور في جنوبي الهند، ثم تلقى تعليما جامعيًا مرموقًا في جامعة كولومبيا الأمريكية، وواصل بعدها تعليمه في كلية ماكدالين Magdalen في جامعة أكسفورد البريطانية. يكتب مقالات تظهر على نحو منتظم في النيويورك والصنداي تايمز والفاينانشيال تايمز. وحازت روايته الأولى «النمر الأبيض» على جائزة المان بوكر عام ٢٠٠٨م، ونشرت روايته الثانية «بين الاغتيالات" عام ٢٠٠٨م، ثم نشرت روايته الثالثة» الرجل الأخير في البرج" Last Man in Tower عام ٢٠١١م.

الهجرة

■ حليمة الفرجي*

أخبرتني أُمّي ذات مساء أنَّ هناك امرأة فارعة الطول تقطن شمال هذا العالم تسحر الرجال، تسرقهم من بيوتهم، أخبرتني أن تلك السيدة تملك قلباً كالبوصلة ذات الأصبع الوحيد، يشير دائماً إلى الشمال، حيث الحياة والربيع الدائم.

نسمع دائماً أنَّ هناك بيوتاً مرتفعة ذات سلالم كهربائية، وأنواراً لا تنطفئ، فالليل في المدن يصبح نهاراً بفضلها.

كان السفر هو الحلم لجميع الآباء، والخوف الذي يشتعل في قلوب الأمهات.

أبي وأمي لم يكونا سعيدين كأغلب فقراء هذا العالم.

كنت أتنصت على شجارهما كل مساء، تبكي أمي كثيراً في الليل وعند الفجر تنهض خائرة القوى، مسلوبة الإرادة، مثقلة الجفن.

وكأغلب نساء القرى الفقيرات أصبحت أمي تعيسة، فقد كثرت شكواها ودموعها أيضاً. فالمرأة في كل بقاع الأرض لا تكثر الشكوى إلا إذا سُلبت الحب.

ذات صباحٍ باردٍ أخبرتني أمي أن تلك المرأة التي حكت لي عنها قد سرقت أبي بينما كنت نائماً..

ها قد رحل أبي.. إذاً، رحل ولم يقبِّلنِ كالعادة عند خروجه ولم يودعنِ.

اكتفت أمي بالصمت وكفت عن الشجار.

مضت الأيام تلو الأيام ؛ انقطعت كل الأخبار التي تأتي من الشمال.

تخبئ أمي مشطاً تحت وسادتها وصورة قديمة، كنت أغافلها كل صباح لأقبِّل تلك الصورة وأعيدها تحت وسادتها ثانية.

سنون كثيرة مضت..

بعض الآباء عادوا وبعضهم أرسل

لأسرته فلحقت به.

صديقي مسعود أخبرني هذا الصباح ونحن في طريقنا للمدرسة أن أباه عاد في الليل، وكان يحمل معه الحلوى وملابس كثيرة، وحلياً تتزين بها أمه، عاد وقد أبيض وجهه وأصبح يرتدي بدلة وحذاء مثل تلك التي يرتديها طبيب المركز، أخبرني أيضاً أن أمه قد اغتسلت أخيراً ومشطت شعرها واكتحلت.

تمنيت أن يعود أبي ليس من أجل الحلوى فقط.

- أمي: لِمَ لا يعود أبي؟

نظرت إلـيّ ولم تبكِ هذه المرة، رغم انكسار الأنثى والكثير من الخيبة التي كانت بداخلها..

- لن يعود، كنت أدرك هذا عندما عزم على الذهاب.

ثم رفعت بصرها للأعلى حيث يختفي سرب الطيور المهاجرة: تلك لن تدعه يعود.

كانت أمي تشير كثيراً في حديثها إلى (تلك) المجهولة التي تسرق الآباء ولا تسمح لهم بالعودة.

ولكني لم أعِ ما تقصده تماماً وظلت تلك المجهولة تلقي بظلها الأسود علينا دائماً.

ذات صباح لم تفق أمي.. فقد رحلت هي أيضاً وإن بقيت آثار دمعتها، مشطها وصورة أبي.

كنت أدرك أنها سترحل، فإن صمت النساء رحيل قريب.

مضت الأعوام تلو الأعوام والشمال لا يشرق عن مقدم غائب أبداً، وحتى طيور السماء العائدة لأعشاشها آثرت الصمت المحمل بالخيبات..

مضت الأعوام، كبرت جداً..

علمت هذا عندما صغر حذائي وقميصي الوحيد، وبدت سيقاني أكثر رشاقة من طرف بنطالي، كبرت وكبر عقلي وأدركت حينها لمَ كان الشمال يسلب رجالنا ويترك نساءنا أرامل وأزواجهن أحياء.

أدركت أنه كلما توغلت جنوباً تجد بيوتاً تمتلئ بالكثير من الفقر، وتصير النساء أكثر.

رجالنا لا يخونون نساءهم ولكن الفقر هنا يخون الجميع، ويجبر الرجال على السفر بعيداً لشراء ضحكات أطفالهم وأساور نسائهم..

أدركت أن الحياة شجرة، تنبت جنوباً ولها فروع طويلة عاقّة، عاقّة جداً.. دائماً ما تنمو وتمتد شمالاً فتبنى بها البيوت والمصانع التي تأخذ منا رجالنا.

هنا فقط.. كلما توغلتَ جنوباً ستجد الدفء، بعيداً عن صقيع الغربة، ولكنك حتماً ستجد نساء يفضلن الموت جوعاً على ألاّ تشاركهن أخرى أزواجهن وضحكات أطفالهن.

* قاصة من السعودية.

ورقة

■ حنان بيروتي*

لا يفترض بك أن تكون في هذه المكان؟ أنت؟ ما الذي جاء بك إلى هنا؟ هذا المكان ليس لك، ألنت حيٌّ أم ميت؟ ألا تعرف؟ ألا يمكنك المساعدة؟ كيف لا تعرف مَن الذي يعرف، إذاً؟ من النوادر طيلة إقامتي هنا أن يأتي شخص بالخطأ أو بالمصادفة إلى هذا المكان، مكان لمن سيموتون قريبًا وهم على القائمة الأخيرة التي أُعدت لهذه الغاية، كيف؟ كما ترى هم لا يعرفون بعضهم، على الأغلب يتحدثون لغات مختلفة، ويقيمون في أماكن بعيدة ويتفاوتون في الأعمار، أكيد الموت لا يفرّق بين صغير وكبير، هم لا يعرفون بالضرورة أنهم سيموتون قريبا جدا وأنهم في القائمة النهائية.

ربما يأتي الأمر لهم كخاطر أو فكرة، لكنهم يستبعدونها سريعا ويُقصونها عن مرمى التصديق وإمكانية الحدوث الوشيك؛ فالموتُ أمرٌ بعيدٌ يحدث للآخرين فقط، نجمعهم في الحلم أو نسرقهم من صحوتهم في الحياة، نسرق انتباههم فيهيمون للحظات هي كافية للاجتماع هنا؛ الوقت يختلف.. يشبه المطاط الذي يمكنك ذهنيًا التحكم به، ليس كما يُشاع لكم فقط أنّ السعادة تشعرك بقصره والحزن يجعله يبدو طويلا، يتصرفون كأنّهم في بيتهم بأريحية، هل مررت بحالة مشابهة؟ لا يمكن، وحده مَن سيموت قريبًا يمكنه ذلك تهيئة لخوض التجربة، لهذا تسمع مَن يقول إنه يحس بأنّ نهايته قريبة، بعضها زائف.. الزيف يأتي عندما لا نصدق الكلمة التي ننطقُ بها، ننطقها لغاية أخرى.. ربما لاستدرار عطف الآخر، أو لقراءة وقع الكلمة عليه أو على أنفسنا، أو.. احتمالات عديدة كلها تعني زيف الكلمة غير الصادقة، لنا نحن وحدنا مقياس صدقها من كذبه، ألا تحسّ بزيف الكلمات التي تقال أحيانًا؟ الناس تزيّف البضائع والابتسامات والملامح! وتركّب الشَعر، تستعيره من الموتى ومن الفقراء الأحياء، وتبدل لون العيون والأسنان وتنفخ الخدود والشفاه والأرداف.. حتى المشاعر يمكن تقليدها ومحاكاتها طبق الأصل.. طبق الأصل!

بصعوبة أفتح عينيّ، رائحة القهوة تزكم أنفي، وصوت زوجتي ماجدة، أنتشل نفسي من النعاس، كنتُ أحلم لكني لا أتذكر، كان ثمة صوت يسألني عني..

ماذا أفعل هنا و.. طبق الأصل.

تمتصني تفاصيلُ اليوم ويضيعُ الحلم بين تلافيف الذّاكرة، نحتاج أحيانًا للحظة صفاء نجلس فيها مع أنفسنا ونتذوق نبضَ خوفها، ربما كان عليّ تدوين مفردات ما رأيتُه أو تفاصيل صغيرة حتى وإن كانت غير مترابطة كما يظهر للوهلة الأولى، لكن التفاصيل المهمشة تجرّ لتفاصيل أكثر وترسم المشهد بلحظة واحدة، كمشهد مكان لاجتماع.. أيّ اجتماع؟

كنا نقف في المقبرة في زيارة قبور الموتى وقت العيد، تلك الزيارة لا يمكنني نسيانها؛ كانت 'سارة' وهي إحدى قريباتي تقف قرب قبر أخيها وتتحدث عندما قطعت كلماتها فجأة ووجهتْ نظرها إلى السماء، وبدت ملامحها تلك اللحظات مثل التائهة، كأنّما تنظر لشيء بعيد غامض أو تتبع نداءً مجهولًا، سألت: أنا تهت، أين نحن؟!

تلك اللحظات ربما التي سُرقت فيها من الواقع ليتم إخبارها أو إشعارها بأنّها ستموت قريبًا، وأنّ قبرها على بعد خطوتين من المكان الذي تقف فيه الآن.

لو خطر لها أن تمشي تلك اللحظة خطوتين لوقفتْ فوقَ قبرها الحالي، كأنّها إشارة تومض لها عن موتها القريب.

ما الذي جعلني أتذكرها الآن؟ أهي تداعيات ما حلمت به؟ يا إلهي هل سأموت قريبًا! كيف؟ ومتى؟ قبل أن... وقبل...

عليّ الكثير من الأمور المعلقة والأحلام قيد الانتظار، ما أوسع الأحلام وأضيق الحياة، الحياة قصيرة يا صاحبي؟

أقولها وكأنني أصدق الأحلام.. مَن لا يصدقها؟

رحلت 'سارة' بعد فترة قصيرة، كان موتُها مفاجئًا رغم أنها مرضت لأسبوع قبله، وأجريت لها الفحوصات.. لكن كأنما كانت الأعراض تتوارى عن أعين الأطباء، فلم يكتشف أحدٌ منهم ما كانت تعانيه من مشكلة خطيرة في القلب، ماتت في صبيحة كئيبة وهي تشرب قهوة الصباح، وتتحدث بفرح كأنما تخطط لنهارها، بلحظات أصابتها الجلطة الماحقة، ربما هي ذاتها لم تصدق خبر موتها غير المتوقع، هل كان الاجتماع قصيرًا جدًا، لماذا لم تفهم؟ لكن مَن منا يفهم ويصدق الموت، مَن؟

تداعيات الحلم ما تزال تطاردني تزعج رقدتي وصحوتي، تنقر سكينتي مثل عصفور جائع، وجوعي لا يهدأ للسكون، ليتني أرتاح من كلّ ذلك حتى لو كان الموت..

***

وزوجته 'ماجدة' تعيد ترتيب الفراش بعد الدفن بيومين، وتشمُ رائحته على الوسادة، عثرت على أوراق كُتب عليها:

'لا يفترض بك أن تكون في هذه المكان؟ أنت؟ ما الذي جاء بك إلى هنا..؟'.

* قاصة وشاعرة من الأردن.

ومضات سريعة

■ سميرة الزهراني*

تعاويذ..

أقام حولها تعاويذ وشراك؛ لئلا يمسها سوء، نسيها فقتلتها الوحدة.

دَيْن..

جرت لدكان العم سالم لتنقده ما تبقى من ثمن العلك الذي ابتاعته منه بالأمس.. وجدته مغلقا ورجال الحي يحملون على أكتافهم جنازة.

هدايا..

دخل بيتها مسرعاً في الخفاء، ووضع في يدها إسورة؛ كتلك التي يحملها الحُجاج هدايا من مكة لحبيباتهم.. خرج مسرعا كما جاء..

وفي صبيحة اجتماع العيد وجدت ذات الأسورة في يد مثيلاتها.

تقاليد..

أحبها رغم كل أعراف القبيلة واختلاف النسب.. أرادها حلالا له، لكنها تزوجت بغيره.. فاشترى البيت الملاصق لمنزلها وبنى ببنت عمه.

حرمان..

اخشوشنت في وجهه الحياة، أذاقته صنوف الحرمان وجرعته كؤوس الفقد، عبثت بقلبه الصغير فحرمته ما يتمناه بل وحتى ما يحتاج إليه.. سار حافيًا في الطرقات حتى أن قدمه الصغيرة تعودت ذلك.. فلم تعد تؤثر فيها نتوءات الطرق..

تمنى ذات ليلة أن تمطر السماء عليه فرحًا وأن تثمر شجرة التفاح.. تمنى أن يلتقي أمه، وأن يرتمي في حضنها ولو لساعات.. تمنى أن يهبها وريده لتعيش، وأن يطعمها من شجرته التي أثمرت، لكنها أبت إلا الرحيل، وظلَّ بعدها يأكل تفاحته بيدين متسختين، وعينين مغرورقتين، وباب تواربه الرياح.

* قاصة من السعودية - الطائف.

قمر ٥٠

■ محمد الرياني*

ناداها تعالي! اقتربت منه، قال لها: اجلسي. جلست، الكرسي يتسع لاثنين جالسين، قال لها في ليلة بدر: أنت قمر في الخمسين، ضحكت بصوت يشبه عمرها، نظرت إلى السماء والقمر مستدير، يكاد يشق الأرض إطلالا، ضحكت من قمر الخمسين، وفي ثناياها شيء من ابتسامة منتصف الشهر.

تجاورا على الكرسي القديم يتذكران عمرًا مضى، سردا قصة طويلة؛ بل رواية بدأت منذ الصغر.

لأول مرة، تشعر بإحساس غريب، غزل في منتصف القرن، وجلوس يوحي بشيء ما، بات يحدثها عن كل شيء، عن الحياة، وعن الجمال، وعن الدار التي احتضنت قمرين تحت ظل القمر. كانت تتأمله وتتعجب من الكلام البديع، تضحك تارة، وتبكي في داخلها تارة أخرى، وتمسح بطرف خمارها عندما تخشى أن تفضحها دموعها، لم ترد على حديثه بحديث، اكتفت بالفرجة والاستماع.

مضى الليل، حضر السكون بقوة والهدوء يعم المكان آخر الليل، هدأت حركة المقعد الخشبي، توقف الحديث الماتع، وضعت يدها على يده، شعرت ببرودة عجيبة، وضعت رأسها على صدره لتستمع إلى دقات قلبه، عرفت أن النبض توقف عن الحديث، نزعت خمارها، همرت بقية دموعها على صدره، ذهب القمر العلوي باتجاه الغروب، لن تجد مَن يقول لها بعد تلك الليلة:

يا قمر الخمسين.

* قاص من السعودية.

العَصا.. ميراثُ المؤمنين!

▪ فهد أبو حميد*

عَصَاكَ رواياتٌ على الحِلمِ مَحمُولَه
إذا كابَدَ التِّلميذُ لُغزَينِ تَبدُو لَه

تَهُشُّ بِها! واللُّغزُ أيّ رِعايَةٍ
تَجَشَّمتَها والذَّاتُ بالجرح مصقُولَه

وأيّ اجتِيازٍ لليَبَاسِ شَرعْتَه
إلى ضِفَّةٍ خَلفَ الكِناياتِ مَسحولَه

تَداوَلَتِ الأفواهُ شَيئاً! وعَنَّ لي
حَديثٌ حَديثُ السَّبْكِ ما صِيغَ لِلدُّولَه

وأذْهَلَ قَوماً حِبرُ عَينَيَّ! هَلْ رأوا
بَقِيَّةَ أسفارٍ مِنَ السَّهوِ مَجبولَه

وسَهوٌ هُنا جَدواهُ نَبذُ رَتَابَةٍ
وأسطورةٍ تَبدو مَعَ الرَّيبِ مَعقولَه

أنا ذَلكَ الوَسواس! في الماءِ صورتي!
صَحيحٌ ولكنَّ الشَّياطينَ مَجهولَه

حَفيٌّ بِأعبَاءِ الدِّماءِ ورُبَّما
تكونُ دمائي في فَمِ الغَيبِ مَطلُولَه

أنا ذَلكَ التِّلميذُ قَد كانَ دَفتري
رِمالاً عَلى سِرِّ المُريدينَ مَجدولَه

تَمَنَّيتُ لَو أنَّ (الدِّلالَ) ذَريعَةٌ
إليكَ وجَولاتِ (الفَناجيلِ) مَوصولَه

لَجِئتُكَ في حَفلٍ مِنَ البُنِّ ماجِدٍ
لَهُ حظوَةٌ عِندَ التَّباريح مَأمولَه

يَــسِــيــلُ فَــيُــرغِــي مِــثــلَــمــا تَــسْــجُــدُ الــرُّؤى
عَــلــى نَــشْــوةٍ صَــوبَ الــتَّــراتِــيــلِ مَــسْــلــولَــه

كَــأنَّ بُــنَــيــّاتِ الــعَــزاءِ رَهِــيــنَــةٌ
لَــدَيــهِ وأجــرامَ الــسَّــلاطِــيــنِ مَــغْــلُــولَــه

تَــمَــنَّــيــتُ يــا جَــدِّي ولَــكِــنَّ حِــيــلَــةً
تَــدَبَّــرتُــهــا أفــضَــتْ إلــى الــرُّوحِ مَــخْــذولَــه

فَــرَاوَحــتُ فــي ظِــلِّ الــعَــصــا وهَــواجِــسِــي
بُــنــودٌ بِــأشْــجــانِ الــحــكــايــاتِ مَــغْــزولَــه

عَــصــاكَ! وتَــبــدو مِــنْ بَــعــيــدٍ مَــلامِــحــي
صَــبِــيّــاً كــأشــعــارٍ عَــلــى الــجِــنِّ مَــنْــحــولَــه

حَــفــيــدُكَ لَــم يَــحــفَــظْــكَ إلا قَــصــيــدةً
عَــلــى نَــفْــحَــةٍ مِــنْ بــاذِخِ الــعِــطْــرِ مَــنْــقــولَــه

تَــجَــاوَزتَ لــلــمــيــعــادِ فَــرداً ولــلــعَــصــا
مَــقــامٌ يَــظَــلُّ الــقَــلــبُ يــا جَــدُّ يَــصْــبُــو لَــه

طَــرَقْــتَ بِــهــا حَــتَّــى أفَــاقَ شُــوَيــعِــرٌ
بِــثَــوبــي وفــاضــتْ بــالأعــاجــيــبِ أمــثُــولَــه

عَــصــاكَ!! ويَــخــتــارُ الــكــفــيــفُ فَــهَــل رأى
حــظــوظــاً عَــلــى نَــصْــلِ الإشــاراتِ مَــكْــفــولَــه

فَــلــلّــه مــا ذاكَ الــيَــقــيــنُ؟! قــد اســتَــوَى
عَــلــى الــلُّــبِّ حــتــى رَدَّ لِــلُّــبِّ مَــدلــولَــه

وأذّنْــتَ! يــا لله! جَــالَ بِــخَــاطِــرِي
كَــلامٌ ولَــكِــنَّ الــسِّــجِــلّاتِ مَــحْــمُــولَــه

عَــصَــاكَ رِحــابٌ والأذانُ مَــهــابَــةٌ
وصَــوتُــك مــا لا تُــحــرَمُ الــنَّــفــسُ مَــفْــعــولَــه

ورَمسُكَ! ما للرَّمسِ؟ فاضَ صَداقةً
تَظَلُّ عَلى كُلِّ الخَواتيمِ مَقبولَه

ثلاثونَ عاماً بَعدَ موتِكَ لَم أزَلْ
أراكَ! وروحي بالتَّفاصيلِ مَشغولَه

حَفيدُكَ طِفلٌ! جِسمُكَ الآنَ ساكِنٌ!
وجَفنَا كفيفٍ! وهيَ في الفَألِ قَيلولَه!

عَصاكَ هنا! قُربَ الفِراشِ كَهَمسَةٍ
تُناجِيكَ يا نَفساً على الرِّفقِ مَجبولَه

أفِقْ.. إنَّ ضَيفاً يَطرُقُ البابَ باسماً
فَبَابُكَ أجدى! ليسَ في الشَّأنِ حَيلولَه!

وحاوَلتُ! لَم أفهَمْ سُكونَكَ إنَّما
نَصَبْتُ سُؤالي مَغرِبَ الشَّمسِ أحبُولَه

رَصَدتُ بِها جَأشَ الكِبارِ فَهالَني
وُجُومُ أبي رَدّاً! فَلَم أقتَحِم طُولَه

وقالوا مَضى في مَوكِبِ الحَقِّ! إنَّهُ
إلى كُلِّ حَقٍّ يُوفِدُ الذّاتَ مَبذُولَه

وما قَرَّبوني للضَّريحِ فَعَزَّني
حُروفٌ تَوَخّاها الرَّدَى غَيرَ مَشكولَه

وعَادَ أبي.. للذِّكرَياتِ بَقيَّةٌ
وتلكَ العصا في أوجِهَا غَيرُ مفصولَه

هُنالِكَ كانت نَبرَةٌ وهُنا أتَتْ
حُروفاً على زَندِ القَريحَةِ مفتولَه

يَسيرُ أبي حَتَّى تُسَلِّمَ نَخلَةٌ
عَليهِ وتَسمُو لَهجَةُ الحَقلِ معسولَه

ويَطرُقُ دَرباً بالعصا فَكَأنَّهُ
مَرافِئُ وَجْدٍ تَمنَحُ البَحرَ أسطولَه

ويَطرُقُ دَرباً للأذانِ تَحُفُّهُ
عَصاهُ التي بَاتَتْ عَنِ الصَّوتِ مَسؤولَه

عَصا والدي!! قَلبي يَجِفُّ مَهابَةً
إذا طَلَعَتْ مِنْ هادِرِ الوَيلِ مَغسولَه

أخافُ أبي حَقّاً! أخافُ ظِلالَهُ
وأعشَقُها داراً مَعَ الحَزمِ مأهولَه

وقَدْ ماتَ! لكنَّ الخَيَالَ مَطِيَّةٌ
تُحَلِّقُ فَوقَ الموتِ فَيحاءَ مَتبولَه

حبيبانِ غابا والعَصا ذِكرياتُها
أرامِلُ في كَونٍ مِنَ الشِّعرِ مَعزولَه

أذانُهُما! مسراهما! وكِلاهُما
(أبو ناصرٍ) في سَابِغ الشَّجوِ (مَشمولَه)[1]

سَلامٌ عَلى جَدِّي سَلامٌ عَلى أبي
سَلامٌ عَلى تِلكَ العَصا كُلَّ قَيلولَه

---

* شاعر من السعودية.

(١) هذه الكلمة جاءت مؤنثة حتى تلائم مؤنثاً تأنيثاً مجازياً مقدّراً مفهوماً من السياق وهي (الكنية) والمعنى (أن الكنية مشمولة).

تحرير

■ سمر الزعبي*

لفَظَ أنفاسَهُ الأخيرة، ثم تركهم يبكونَه، وجلسَ على مقعده الوثير. المكتب مليءٌ بالأوراق، مكتظٌ بالحكايات؛ فتناول آخر قصّةٍ شرعَ بكتابتها قبل أن يموت، وراح يكملها بعدما جعل البطلين يتشاجران بسبب عراك ابنَيهما في الحديقة العامّة، هناك حيث تعارفا، فور ما أحسّا بسذاجة موقفَيهما واعتذر كلٌّ منهما للآخر.

كان كلاهما وحيدًا، مُطلّقٌ وأرملَة، أو أرملٌ ومطلّقة، وغير ذلك من الاحتمالات ممكن، تشاركا النّبضَ والقُبَلَ والتدخين من سيجارةٍ واحدة. غالى في وصف مشاعرهما تجاه بعضهما بعضاً على غير عادةِ الكُتّاب من الرّجال؛ فكان بوحُه رومانسيًّا للغاية، واستخدم صورًا فنيّةً تقليديّة، فكانت مفرداته: الشّمس والنّجوم والبحر والغيوم.. ثمّ لمعت في ذهنه فكرة أن يقيمَ بينهما علاقةً محرّمة.. وفعل.

بعد عدّة أسطرٍ شعرَ بفتور تجاهَ النّص، فنقلَه إلى المُتحابَّين، حتّى اشتدّ بهما وافترقا. قرّر أن يكتب النصَّ بالمقلوب، فتراجعت الأحداث منذ جلسا على حافّتيّ السّرير، يولّيان ظهرَيهما لبعضهما بعضاً، يتعاتبان على الفتور والإهمال، يلقي كلٌّ منهما اللومَ على الآخر، ثمّ عاد بلسانيهما إلى سنيّ الحب والشّوق، مبقيًا على صوره الفنيّة الكثيرة؛ لكنه حذف المفردات التقليديّة، واستغنى عن مشاهد العلاقة المحرّمة، فقد خشي أن يُعاقَب عليها بعدَ الدّفن، لكن ليس إلى حدٍّ أن يشطب مشاهد السجائر التي تبادلاها ذات قُبَل.

أحسَّ بالضّجر، فعائلته ما تزال تبكيه بصوتٍ مرتفع، وتُفقده تركيزَه، رفعَ الورقةَ من طرفها بإصبعين اثنَين، وتأفّفَ، ثم حذف المشهد الأوّل الذي صار الأخيرَ بعد ما قلبَ الحكاية.. فلم يلتقِ البطلان حتى هذه اللحظة.

عاد يتمدّد في فراشه يتمُّ مراسيمَ موته، وفي نيّته كتابةُ نصوص أخرى، لكن لن تكون في المشاعر، بعدما تيقّن أن كتابته عن الحب لا تقلّ رداءةً عن أدائه فيه.

---

* قاصة من الأردن.

أصبوحةٌ جوفيةٌ

■ سعاد الزحيفي*

صباح الخير يا ماءً ونهْلا
وأعنابا وزيتونا ونخلا

صباح الجوف ريحانٌ وزهرٌ
يداعبه النسيم فماس دِلّا

تدلى من مزونك سائغاتٌ
تقول لضيفنا أهلا وسهلا

وقد مُزجت على هيلٍ زكيٍّ
وشيّع بنُّها تمراً رِيحلا

وتسمع نغمة الإصباح نقراً
يقارع فيه فنجانٌ مزلا

تضوّعَ ريحُها فنطيب نفسا
ونرشف كيفها للذوق مهلا

بلا هيفٍ فكل الشرب كيفٌ
ولا سيفٍ وقد ملأوه عدلا

وخبز الدار ما دبسٌ عليه
تقطّرَ شهدُه اللمّاع هطْلا

لذيذٌ ساخنٌ قد طاب طعماً
وبالدبس (المسبّك) صار أحلى

بجانبه كؤوس الشاي حُسْناً
يرقّصها (المباشرُ) حيث حلّا

فهل شيء يعادلها نعيما
وقد طابت لنا دارا وأهلا

* شاعرة من الجوف.

ذاكرة لا تنام

■ نوره العبيري*

أحاول النوم
أو
الخلود إلى ذاكرة لا أعرفُها
أسألتني يوماً
كيف بدلت ردائي
وأسقطُ وجهي
وبت أخيط الغفلة منك
فوق تجاهل أشيائي
وجالست الوريد الذي أحبك
ونصحني بالانتهاء..
لكنني تماديت بغبائي
كم مرة مددت للمطر السريع؟
أسالتني
كم مرة مددت للمطر السريع
كوبي.. ومعطفي.. وشالي..؟
احترقت قهوة شوقي
حتى جفَّ منك اغترابي
أنساك
وأنت بين الخطوة والخطوة
لحظ لا ينتهي
امنحني ذاكرة تجعلني
أكتب إليك رسالة تصلك
بأنك الحظ الجميل الذي أباح سرّ
شتاتي
ليت كل العابرين الذين مسحوا دمعي
منديلك
ليت كل صبح أبهجهم
ببذخ جمالي عين قنديلك
ليتك تطيل الوقوف مرةً امامي
كن لي مرآة..
يا مَن كلما استدار نهارك ليعكس ليلي
أضِل كفراشة لا تخاف النار
حول وترك المشتعل
تُغني تُغني تُغني
حتى تذوب في حديقة ليلك
وأنت نائم
امنحني ذاكرة تجعلني أنام

---

* كاتبة من السعودية.

وطني

▪ مرضي الشمري*

وطني سفيرُ اللحنِ في أبياتي
قل للقوافي اليومَ إني آتِ

هذي بحورُ الشعرِ بين دفاتري
مثل الحجيج على ثرى عرفاتِ

أسرجتُ من خيلِ المشاعرِ صهوةً
دريةً تنثالُ من مشكاتي

وطنُ الشموخ بصرح مجدِك عزةٌ
تغري الطموحَ وروعةَ الإنصاتِ

وطني تحدَّى الحاقدين بسيفه
أفعالُهُ تطغى على الأصواتِ

في فجر تاريخ الملاحمِ صفحةٌ
تروي ثرى روحي بعذبِ فراتِ

منه استمد الكونُ وحيَ رسالةٍ
يصحو بها من بعدِ طولِ سباتِ

فيه استفاق النورُ هديا للورى
بقداسةِ التنزيل والآياتِ

وطني إباءُ الأمس في محرابه
صرحٌ يخلِّدُه الزمانُ الآتِ

عذري إليه يزفُّ نبضَ قصيدتي
يخشى من التقصيرِ في كلماتِي

---

* شاعر من حائل - السعودية.

مَن كمثلي

■ عبدالله الأمير*

مَنْ يَرَى الحُبَّ سِلعَةً قَد يُباعُ
كَيفَ يُرجَى عَلَى يَديهِ انتِفاعُ؟

يا غَراماً بِهِ ابتَدأتُ حياةً
حَفَّهَا اليأسُ واحتَواها الضَّياعُ

سامَحَ اللهُ ضِحكَةً مِن لَعوبٍ
فَتَنَ العَينَ زَيفُها الخَدَّاعُ

فَأَطَعْتُ الظُّنونَ نَحوَ هَلاكي
حَينَ أَصغَتْ لِرَغبَتي الأَسماعُ

مُبحِراً سِرتُ عَكسَ ريحِ التَّمَنّي
وِجْهَتي الوَهْمُ والخَيالُ الشِّراعُ

هُمتَ يا قَلبَ مُخلِصاً في هَواها
ثُمَّ باعَتَ وَحُبُّنا لا يُباعُ

خابَ مَسعاكَ فارتِحالي جُنونٌ
وَرِفاقي تَفَرَّقوا ثُمَّ ضاعوا

خانَك الوَعدُ فالمَنالُ بَعيدٌ
وَطَوَتْني عَلَى خُطاهُ البِقاعُ

تَرفُضُ الأَمرَ كُلَّما قُلتُ يَكفي
زِدتَ رَكضاً وَمِن شَقائي المَتاعُ

ها أنا اليَومَ أستَحِثُّ المَنايَا
لا أَجابَتْ وَلا لِسيري انقِطاعُ

قَد تَلاشَتْ مَطامِعي كَسَرابٍ
وَسَباني عَلَى الدُّروبِ التِياعُ

فَمَتَى يَبلُغُ المُحالَ جَريحٌ
خانَهُ الرَّكبُ وَاقتَفَتْهُ السِّباعُ

يا فُؤادي أطَعتَ مَنْ رامَ قَتلي
مَن كَمِثلي لِمَوتِهِ يَنصاعُ؟!!

---

* شاعر من السعودية.

إلى متى؟!

■ د. سعود الصاعدي*

الله يعلم أنني مشتاق
حتى تكاد تشفّني الأوراق!
..
لكنني آثرتُ صمتي مثلما
آثرتُ أن تتكلّم الأشواقُ!
..
فإلى متى
يهتزّ قلبي مورقًا
شوقًا إليها
وهي لا تشتاق؟!
..
وإلى متى
وأنا أفيض
كأنما
في داخلي
يتزاحم العشّاق؟!
..
فأنا إزاء الحب
أعذرُ من مشى
في الأرض
وانفتحت له الآفاق!
..
وإزاء حبي
ليس شيءٌ في يدي
إلا له في داخلي أحداقُ!
..
فكأنَّ لي من كل شيءٍ فكرة
حتى العناق له عليَّ عناق!
..
لي من أحبّائي جناسٌ عازفٌ
ومن الجفاة المبغضين طباق!
..
ومن الحقيقة
ما يعفّ عن القذى
ومن المجاز المستفيض براق!
..
فإذا كتبت قصيدة
أرفو بها وجعي
فكل الموجعين رفاق!

---

* شاعر من السعودية.

أنا راحلٌ!*

(آخر رسالةٍ كتبها تولستوي إلى زوجته صونيا)

■ ترجمتها عن الفرنسية: ياسمينة صالح**

في ٢٠ نوفمبر ١٩١٠م، وبعد حياة طويلة وثرية أنتج فيها روايتين تعدان من أعظم ما كتب في الأدب العالمي، (الحرب والسلم، أنا كارنينا)، محدثاً ثورة في التعليم، ومؤسساً مجتمعا طوبوياً، فارضًا نفسه كواحد من أبرز حكماء عصره، توفي ليو تولستوي في محطة استابوفو القريبة من بيته! عن عمر ناهز الـ ٨٢ عاماً بالتهاب في صدره.

الرسالة الآتية كتبها تولستوي الى زوجته صونيا معلنا فيها قراره الرحيل/ الانفصال، بعد ٤٨ سنة من الحياة الزوجية التي أثمرت ١٣ ابنا، وهي مورخة في ٣٠/٣١ أكتوبر ١٩١٠م؛ إلا إن الموت فاجأه قبل وصول الرسالة الى زوجته لتصبح هذه الرسالة، رسالة وداع لواحد من أعظم الروائيين الذين عرفتهم البشرية.

بمقابلة أو مهما بدا السبب قويا للمقابلة، فإن رجوعي بات مستحيلاً، أعرف أن الأمر سيكون كما يقول الجميع موجعاً لكِ، أما بالنسبة لي فالأمر سيكون فظيعا لمعرفتي بعصبيتك، بغضبك ووضعك الصحي. الأمر سيكون أسوأ من ذي قبل. إن جاز لي ذلك أنصحك بأن تأخذي مسؤوليتك مما جرى، وأن تتأقلمي مع وضعك الجديد، وأنصحك خصوصا أن تعالجي نفسك.

إن كنت تحبينني، أو لنقل إن كنت لا تكرهينني، عليك أن تضعي نفسك مكاني. بألا تدينينني، إنما تسعين إلى مساعدتي لأحصل على الراحة،. وإمكانية العيش عيشة إنسانية. ستحاولين مساعدتي ببذل جهد على نفسك، لكنك أنت نفسك لا تريدين عودتي الآن.

حالتك الراهنة، رغباتك، ومحاولات الانتحار التي قمت بها - والتي تظهر أكثر من أي شيء آخر - أنك فقدت السيطرة على نفسك، كل هذا



يجعل عودتي غير واردة الآن. وحدك أنتِ تستطيعين توفير كل هذه المعاناة على أقاربك وعليَّ وخصوصا عليك أنت.

استغلي طاقتك ليس لتجعلي كل شيء يسير وفق رغباتك، بل استغليها لتستعيدي هدوءك، لتريحي روحك، ووقتها ستحصلين على ما ترغبين فيه.

بعد يومين قضيتهما في شماردينو وأوبتينا، أنا راحل. سأضع الرسالة في صندوق البريد وأنا في طريقي، ولن أقول لكِ إلى أين أنا ذاهب؛ لأني أعتقد أن الانفصال صار ضروريا لكِ مثلما هو ضروري لي.

لا تعتقدي أنني قررت الرحيل لأني لا أحبك. أنا أحبكِ وأشفق عليكِ من كل قلبي، لكني لا أستطيع القيام بغير هذا. أعرف أن رسالتكِ لي صادقة، لكنكِ لست في وضع يتيح لكِ عمل ما ترغبين به. فالأمر لا يتعلق برغباتي أو عمل ما يرضيني، بل بتوازنك، بما يجعل طبيعتك معقولة ومرنة. طالما الأمر غير هذا فإن الحياة المشتركة بيننا غير واردة. العودة وأنت في هذه الحالة معناه التخلي عن الحياة، ولا حق لي في التخلي عن الحياة!

وداعا عزيزتي صونيا، وليكن الله في عونك. الحياة ليست مزحة، وليس لنا حق تركها بإرادتنا، مثلما لا يجوز قياسها بمدتها. الشهور التي تبقت من حياتنا ربما ستكون أهم من كل السنين التي عشناها وعلينا أن نحياها بكرامة.

ليو تولستوي

* المصدر: كتاب تولستوي الرسالة ٢ الصادر عن منشورات غاليمار باريس ١٩٨٦م. (Tolstoï, Lettres II, Gallimard, 1986).

** كاتبة روائية جزائرية.

الشاعرة مها العتيبي:

أميل في بعض القصائد الحديثة إلى كتابة قصيدة التفعيلة ذات الجمل الشعرية الطويلة التي يخفت بها الإيقاع السريع لموسيقى النص ولكن لم أكتب قصيدة النثر..!

الدكتورة مها محمد العتيبي شاعرة سعودية، أهدت المكتبة الشعرية خمسة دواوين شعرية، ميّزت بها صوتها الشعري وحضورها المنبري: "مقام الانتشار العربي بيروت ٢٠١٧م"؛ "تشرين والحب والأغنيات الانتشار العربي بيروت (مطبوعات نادي تبوك الأدبي) ٢٠١٦م"؛ لوعة الطين ٢٠١٤م، جميرا للنشر؛ "عرائس الحب ٢٠١٠م الدار العربية للعلوم ناشرون"؛ "نقوش على مرايا الذاكرة" ٢٠٠٩م، ولها الكثير من المشاركات في الأمسيات الشعرية محليًا وعربيا، طموحها يتفوق على مدى قصيدتها، وهي تتسلّح بثقافة أصيلة، وبروح تنتشي بإيقاعها المتفرد. تقول: "بدأت بعدها في القراءة العميقة للشعر بكافة أشكاله، وللشعراء من ثقافات وعصور مختلفة، لكني كثفت القراءة للقصيدة المعاصرة، ومع المراس في الكتابة بدأت استكشف في قصيدتي متسعًا لرهافة اللغة والبنية اللغوية الجيدة، وأساليب الصياغة وابتكار الصور الشعرية، والولوج إلى عالم التجريب الشعري في إطار القصيدة العمودية الحديثة"؛ وهنا نقف لنطل معًا على فضاء الحوار مع ضيفة الجوبة الشاعرة مها العتيبي..

■ حاورها: عمر بو قاسم

الشعر سمير الليالي..!

● "مقام ٢٠١٧م"؛ "تشرين والحب والأغنيات ٢٠١٦م"؛ "لوعة الطين ٢٠١٤م"؛ "عرائس الحب ٢٠١٠م"؛ "نقوش على مرايا الذاكرة ٢٠٠٩م".

طبعاً: ملامح تجربتك الشعرية بدت تتشكل من ديوانك الأول بخصوصية البوح وتميزه، وبمغايرة أيضاً على المستوى الموضوعي والفني. هل نحظى منك ببوح خاص عن هذه التجربة؟

■ كتبت في مقدمة ديواني الأول "نقوش على مرايا الذاكرة" إنني وإذ أقدم لديواني الأول، استحضر مدى ما كان الشعر بالنسبة لي سمير الليالي، ونافذة البوح، ومعبر الألم، فكانت القصائد غناء للجرح، وتراتيل للحنين، وزخات للفرح مكلّلة بشوق لا يتوقف ولا ينتهي. كانت القصائد هي بوح خالص معبّرة عن حالة شعورية ينفث فيها الشعر فيتركها حيّة وطازجة في قالب اعتمد على بساطة الإيقاع، وسهولة اللغة الشعرية منذ البداية في بناء شعري مُحكم.

لم يكن الهاجس حينها سوى الشغف، الشغف بالشعر، والكتابة، والتمعّن في هذه القصائد بما هي نوافذ للمعرفة والبوح. منذ سن مبكرة أكتب الشعر، ولكن حتى عام ٢٠٠٥م، كان الشعر لديَّ شغفاً؛ قراءة وكتابة؛ ولكن بدأت أشعر حينها أن الشعر بالنسبة لي ليس هواية عابرة ضمن هوايات أخرى، بل صار هاجسًا؛ فبدأت في ذلك الوقت أتفتح على قدرتي على صياغة الشعر بشكل مختلف، وبدأت أخلص للشعر وللكتابة.. فكان ديواني الأول "نقوش على مرايا الذاكرة" يمثل تلك المرحلة بشكل جيد، ثم بدأت بعدها في القراءة العميقة للشعر بكافة أشكاله، وللشعراء من ثقافات وعصور مختلفة؛ لكني كثفت القراءة للقصيدة المعاصرة، ومع المِراس في الكتابة بدأت استكشف في قصيدتي متسعًا لرهافة اللغة والبنية اللغوية الجيدة، وكذلك أساليب الصياغة وابتكار الصور الشعرية والولوج إلى عالم التجريب الشعري في إطار القصيدة العمودية الحديثة، وكان ذلك في ديوانَيّ "عرائس الحب" و"لوعة الطين"، بحيث تميّز ديوان لوعة الطين بالكثافة الشعرية، والاشتغال على بناء الصورة داخل القصيدة، وكتابة القصائد الطويلة، والتي لا تفقد وحدتها الموضوعية أو أسلوبها الشعري ولغتها الشعرية المتناغمة.

في ديوان "تشرين والحب والأغنيات" وديوان "مقام" بدأت تكتمل ملامح القصيدة بعض الشيء، وكانت مرحلة تحتوي العمق المعرفي مع الصياغة الشعرية اللغوية والفنية، وهذا ما أرجو أن أكمله في الدواوين الشعرية القادمة.

قصائد للتلحين..!

• **أذكر أني قرأت لكِ إجابة ضمن حوار نُشر في إحدى الصحف الخليجية، أنك تخصّين تجربتك الجديدة لمشروع لقصائد مغناة.. ماذا تقصدين بقصائد**

القصيدة تمثلني في بنيتها المعرفية وأفكارها وما تحمله من رؤية، فإذا جاء النقد بعد ذلك فليس هناك ما أخشاه حينها.

المرأة أصبحت حاضرة بصورة مشرقة في المنابر الثقافية والإعلامية، وهذا ناتج إيجابي للتحوّلات المجتمعية التي نعيشها في هذا الوطن، ولله الحمد.

مغناة؟

■ طُلب مني عدة مرات قصائد للتلحين من قبل بعض الملحنين، في البداية كنت أرفض الفكرة لخوفي على القصائد أن لا تنتج في قالب لحنيّ جميل؛ لأنني أستشيغ موسيقى القصيدة في سياق إيقاعها، ولكن قبل نحو سنتين تم تلحين إحدى قصائد ديوان "مقام" لتكون بداية لقصائد مغناة، تم اكتمال اللحن وإلى الآن القصيدة لم تُذَعْ كأغنية.

النقد الأدبي ودوره..!

● **هناك قراءات نقدية حاولت أن تدخل عالم الشاعرة من خلال القصيدة وعوالمها وفنياتها؛ فهل استطاع النقد أن يصل أو يضيء للشاعرة مها العتيبي زاوية "ما" في فضاء الشعر، أم أنك لا تهتمين أو تخشين النقد؟**

■ بالتأكيد النقد الأدبي مهم، ودوره في تنشيط الحركة الأدبية والشعرية



السعودية والعربية مهم.. أتابع عددًا من الكتابات النقدية التي تتناول المنتج الأدبي بشكل عام، وليس بشكل خاص ما يتعلق بكتاباتي الشعرية. النقد بالمجمل يضيء للشاعر مناطق مدهشة وإبداعية متجليّة، وفي ذات الوقت ينتبه الشاعر إلى بعض المكرر من الكتابة أو الضعف في مواطن أخرى فيصقل إبداعه وتجربته، أنا أستفيد من النقد بشكل عام في تشذيب بعض الكتابات، ولكن النقد ليس قيدًا بالنسبة في لحظة الكتابة، أنا لا أفكر بالنقد أبدًا حينها، أطلق العنان للقصيدة؛ لأن صدق القصيدة وحرارة عاطفتها، وجمال بنيتها أن أتركها تأتي بدون حدود أو أن أضمنها أفكاراً تجريبية أو فلسفية، أو قيوداً معرفية من أي نوع.

وبالتالي القصيدة تمتلئ في بنيتها المعرفية وأفكارها وما تحمله من رؤية؛ فإذا جاء النقد بعد ذلك، فليس هناك ما أخشاه حينها.

التواصل المباشر مع الجمهور..!

● **أقمتِ أمسيات شعرية في عديد من المنابر في الأندية الأدبية والمهرجانات الثقافية. طبعا هذا التواصل المباشر مع القارئ "الجمهور"... له الكثير من الأهمية للشاعر، فهو يتعرف كيفية وصول قصيدته للآخرين ومدى الأثر الذي تركته القصيدة من خلال درجة التفاعل. هل تؤيدين وتؤكدين أهمية**





مثل هذه الأمسيات الشعرية أم؟

■ الأمسيات الشعرية والمشاركة في المهرجانات الشعرية مهمة للشاعر عندما يلامس وهو على منبر الشعر مدى تلقي القصيدة، التواصل المباشر مع الجمهور كما ذكرت والمتلقين ضروري لتعزيز فرصة أكبر لحضور الشعر، رسالتي حينها هو أن يجد المتلقي في هذا الشعر ما يستحق أن يسمع، وأن يشعر بشيء يعنيه من خلال هذه القصيدة أو تلك؛ ومن جهة أخرى وجود التواصل المباشر بين الشاعر والجمهور مباشرة هو فرصة لاستكمال ثقة الشاعر في قصيدته من جهة، وفتح نوافذ جديدة للتواصل ونشر القصيدة والتعريف بها من جهة أخرى.

زادت مشاركتها لنشر ثقافتها وإبداعها..!

• ربما كان حضور المرأة يتفاوت من مجتمع لآخر.. قد يكون أحد أسباب هذا التفاوت التكوين المجتمعي، ولكن من الملاحظ أن حضور المرأة في المنابر الإعلامية والثقافية ومشاركتها في الفعاليات في تزايد الآن، ما رأيك؟

■ المرأة أصبحت حاضرة بصورة مشرقة حاليًا في المنابر الثقافية والإعلامية،

مهارات النقد والتحليل، يمكن تعلمها ودراستها وتطبيقها في نماذج نقدية على النصوص المختلفة في المجال الأدبي تحديدًا..!

القصيدة هي التي تفرض طقوسها ووقتها. لا أكتب من وحي خيالي ولا من موقف يومي، ولكن هي تراكمات تتجلى في لحظة الكتابة التي تختارها القصيدة..!

وهذا ناتج إيجابي للتحوّلات المجتمعية والإيجابية التي نعيشها في هذا الوطن، ولله الحمد، كانت المرأة مشاركة وزادت مشاركتها لنشر ثقافتها وإبداعها وحضورها ودورها الثقافي والمعرفي والحضاري.

مهارات النقد والتحليل، يمكن تعلمها ودراستها وتطبيقها..!

- "ما أجمله".. "كلام يجنن".. "يفوق الوصف ويأخذ العقل".. هذه العبارات تخص المرأة وطبيعتها وأقصد العاطفة عندما تعجب بشيء ما، وهنا استحضر مقولة لروبين لاكوف: (إن المرأة تتردد وتستخدم أسلوباً أقل حزماً من الرجل)؛ من هنا، يستغرب بعضهم حضور المرأة في الفضاء النقدي، ما رأيكِ في ذلك؟

- لا أعلم إذا كان النقد مقابلاً موضوعياً للحزم، وأن المرأة أقل حزماً. في الحقيقة، مهارات النقد والتحليل يمكن تعلمها ودراستها وتطبيقها في نماذج نقدية أو نظريات على النصوص المختلفة في المجال الأدبي تحديدًا، كما ينسحب ذلك على أي علم نظري آخر، ولا يقتصر تعلم هذه المهارات وإتقانها على الرجال دون النساء؛ أما لو نظرنا لواقع المشهد النقدي، سنجد أن عدد النقاد المجيدين هو أكبر من عدد الناقدات المجيدات، قد لا تكون العاطفة أو اللين في تناول الأعمال الأدبية هي السبب، ولكن قلة عدد الناقدات المتمكنات من مهارات النقد العلمي، متى ما أتقنت المرأة هذه المهارات تخلّصت من قيود العاطفة واتّبعت منهجًا علميا سليما سيؤدي إلى اكتمال قدرتها النقدية.

لم أكتب قصيدة النثر..

- من الواضح أنكِ توفّقين تجربتك الشعرية بين سماءين "القصيدة العمودية وقصيدة التفعيلة".. هل لديك تجربة في فضاء قصيدة النثر؟

- أصبحت أميل في بعض القصائد الحديثة إلى كتابة قصيدة التفعيلة ذات الجمل الشعرية الطويلة التي يخفت بها الإيقاع السريع لموسيقى.. ولكن لم أكتب قصيدة النثر.







تويتر الموقع الأول..!

• **ما المواقع التي تتصدر مفضلة الشبكة العنكبوتية لديك؟**

■ حاليًا أصبح موقع تويتر Twitter هو الموقع الأول الذي تتضمنه المفضلة، إضافة إلى مواقع التواصل الأخرى مثل الفيس بوك، وكذلك مواقع تعليمية وبحثية.

أن يستهويك السرد..!

• **أن يكتب شاعر "ما" رواية أو عملاً سردياً، لم يعد شيئا غريبا، فهذه الحالة أصبحت منتشرة في الساحات الثقافية العربية، فمن الكتّاب مَن يرفض وصف هذه الحالة بالتحوّل، بل يعدّه تواصلاً طبيعيًا بين فضاءات الكتابة، ومن حق الشاعر أن يحضر في أي فضاء إبداعي، وأن هذه الحالة ليست بالجديدة على الشاعر.. ومنهم مَن يرى أنها عقدة التصنيف ولها سلبياتها التي تعاني منها الساحة الثقافية. الشاعرة مها العتيبي، ماذا تقول في هذا الاتجاه؟**

برأيي أن يستهويك السرد ربما يجذبك لنقطة أبعد مما تؤمل أو مما تظن أنك كنته في يوم من الأيام؛ عمقا ولغة وقدرة على الكتابة. وحينها سأقول: وماذا بعد الرواية؟ هل سيظل الشاعر ممسكًا بنور القصيدة كما كان؟

لذلك بالنسبة لي أنا مخلصة للشعر كثيرا، وليس لدي على الأقل في الوقت الحالي الاتجاه لكتابة الرواية أو الخوض في كتابة أخرى بأي شكل إبداعي بخلاف الشعر. أما في المشهد الثقافي.. فكتابة الشاعر للرواية أو أن يظل يكتب الشعر فقط، ليس لها علاقة بعقدة التصنيف، وهي حرية لمن يرى ذلك ولديه القدرة والأدوات اللازمة للسرد، وقبل ذلك الرغبة في خوض هذا المجال. وفي النهاية هذا منتجه الأدبي الذي سيقدمه وفق قناعته ورؤيته.

هذا الرأي غير دقيق في الواقع..!

- **ومن الملاحظ أن قصيدة النثر هي من تتصدر المشهد الشعري في الكثير من المحافل الثقافية في الوقت الحالي، فماذا تقولين؟**

■ لا أعتقد أن هذا الرأي دقيق في الواقع، العودة للقصيدة الأصيلة ما يزال في أوج وهجه، قصيدة النثر لها مريدوها، ولكن أعتقد أن ما بعد الألفية تغيرت هذه الفكرة ولم تعد قصيدة النثر هي التي تتصدر المشهد الثقافي العربي، والدليلت هو كثرة الشعراء المجيدين الذين ازدهرت بهم كتابة الشعر العمودي وشعر التفعيلة ما بعد الألفية في جميع أرجاء الوطن العربي، وفي المملكة على وجه الخصوص.

لا أكتب من وحي خيال خالص..!

- **بعض الشعراء والمبدعين بصفة عامة يلتزمون بطقس معين أثناء الكتابة، مها العتيبي: كيف تكتب ومتى؟**

■ ليست هناك طقوس معينة للكتابة، متى ما جاءت القصيدة هي التي تفرض طقوسها ووقتها، لا أكتب من وحي خيال خالص، ولا من موقف يومي أو شعوري خالص، ولكن هي تراكمات تتجلى في لحظة الكتابة التي تختارها القصيدة.

- **غالبا أسأل هذا السؤال فهو يضيء للقارئ الخصوصية الثقافية لدى ضيف "الجوبة"... هل لنا أن نتعرف على محتويات مكتبة الشاعرة الدكتورة مها؟**

■ مكتبتي منوعة في قسمين.. الأول يتعلق بالأدب والشعر على وجه الخصوص، يضم مجموعة من الدواوين الشعرية ومختارات من الشعر العربي على مرِّ العصور، وخاصة شعراء القصيدة الحديثة: الجواهري، ودرويش، ونزار قباني، ومجموعة أخرى كبيرة من شعراء العصر الحديث وعدد من الروايات، وكذلك الكتب التي تعنى بالثقافة والأدب.

أما القسم الثاني، فيتعلق بالعلوم والأحياء بحكم التخصص biology كتب الفسيولوجيا والحيوان والنبات والأنسجة والبيئة وما إلى ذلك، كما يتضمن هذا القسم كتب المناهج وتدريس العلوم وهذا مجال دراستي في الدراسات العليا، إضافة إلى عدد لا بأس به من البحوث والدراسات المتعلقة بهذا المجال.

- **ومن المهم جدا أن أسالك أيضاً هذا السؤال التقليدي، ما هو جديدك؟**

■ جديدي القصيدة، في الفترة الماضية، أنجزت ديوانين جديدين أحدهما قدم للنشر في العام ٢٠١٩م، وأنتظر صدوره في الأيام القريبة القادمة، والآخر سيتبعه قريبا. وهناك بمشيئة الله أمسيات شعرية قادمة إحداها في سوق عكاظ ضمن البرنامج الثقافي بمشيئة الله تعالى، وما يزال للشعر نافذة الجمال والحضور والتلقي.



الشاعر حسن شهاب الدين:
أشارَ الشعرُ لي بعصاه فتبعتُه!

على الغيب
مِنْ مرآته يتلصص
وسبع سماوات به تتربص
يفجر في الأوراق
لغم مجازه
وينصب فخاً للمحال.. فيقتنص
صبيٌّ..
على ماء الأساطير سائر
وأطفالها..
في حلم عينيه تشخص

ملامحه لا تشبه الماء
إنما..
ملائكة النهر التي يتقمص
له جنة خضراء..
مِنْ قمح أرضه
عليه حكايات السنابل تقصص
وأحرفه..
أعلى من الحزن قامة
لأوجاع كل المتعبين تلخص

هذه الأبيات صدرت في ديوان "طفل يركض في الأساطير"؛ وبها يعرف الشاعر الذي يشبهني نفسه منذ خط أول حرف في كتاب الحياة.

■ حاوره: أسامة الزقزوق

• **ماهي أهم المحطات الأدبية في حياتك؟**

■ محطاتي الأدبية هي دواويني منذ الديوان الأول "شُرفة للغيم المتعب" حتى الديوان الأحدث كأوّلِ شاعر في الأرض أخط جغرافيا الكلام حسب رؤيتي للعالم، ولا أرى لي إلا القصيدة كي أُأرِّخ بها ذاتي وكذلك الزمن الذي أحياه.

- **كيف بدأ مشوارك الأدبي؟ ولماذا الشعر بالذات؟**

أشار الشعر لي بعصاه فتبعتُه.. هذا كل ما في الأمر؛ فأنا لم أختر الشعر ولا توقعت قبل قصيدتي الأولى أن أكون شاعرًا، ولا أدري كيف تم الأمر، ولكن قبل ذلك بسنوات كنت أغرق في مكتبة بيت والدي الثرية التي أتاحت لي الإطلاع على تراث إنساني ضخم من أدب (روايات خاصة) ودين وتاريخ وسياسة؛ لذا، وضعت قدمي في طريق الشعر متسلحا بثقافة تسبق عمري بكثير، والمفارقة أن تلك المكتبة الخطيرة كانت تفتقر للشعر، ولكن تأثير ديستوفسكي، ومحفوظ، وماركيز، وديكنز، والتراث الإنساني من المعرفة الدينية والتاريخية كان هائلا.

- **ما هي طقوس الكتابة لديك؟**

■ لكل شاعر طقوسه لحظة الإبداع، وطقوسي ترتبط بالحبر والورقة كثيرا.. فالورقة والقلم وبعض الهدوء وشيء من الموسيقى الهادئة تعني لي الكثير، إلا إنني أتعجب من قصائد أعدها من أفضل ما كتبت تخالف تلك المقاييس، فمثلا هناك قصائد كتبت على الورق وفي الطريق وأمام شاشة الكمبيوتر.. وقصائد كتبت في العمل وقد كتبت أيضا في الطائرة وفي الفنادق، إلا إنني أشعر بالألفة والحنين مع الورقة والقلم.. أو قُل أشعر بالثقة أكثر فيما أكتبه على الورقة وبهذا الساحر (القلم)!

- **كأديب، ما هي المشكلات التي تواجهك؟**

أنا أحاول تأريخ الحياة التي أحياها والعصر الذي أعيشه؛ لذا، فمشاكل كل إنسان في الحياة هي مشاكلي كأديب، فأنا أريد أن أضمِّد كل جرح.. أن أربِّت على كل قلب.. أن أنطق بكل لسان.. هذه هي مشاكلي، ولا أدري هل هذه الكلمات تصلح كإجابة على سؤالك أم لا.

- **ما هو تقييمك للأدب في مصر، بصفة خاصة، والعالم العربي، بصفة عامة؟**

■ الأدب -والشعر خاصة- الشعر في مصر في توهج، ويتسع ليشمل ويحمل قدرًا من الثقل الفكري والحضاري ما يؤهله للريادة، وهو كغيره من تجارب الشعر العريقة في البلاد العربية يضج باختلاط الأصوات بسبب انتشار وسائل النشر والتواصل الاجتماعي؛ ولكنني أرى أن هذه الضجة صحية، ولا بد أن تثمر تجارب ناضجة، والقارئ الواعي قادر على انتقاء أصفى الأصوات ومتابعة إبداعه من وسط هذا الضجيج الجميل والعذب.. وأظن هذا الرأي ينسحب أيضا على التجربة الإبداعية في غيرها من البلاد العربية.

- **إن كانت لك فرصة لأن تصرخ غاضبا، ماذا تقول؟**

■ سوف أصرخ في وجه العالم قائلا له كفى دماءً..!! دع فرصة لأطفالنا كي تنبت أحلامهم البريئة.

- **أمير الشعراء أحمد شوقي له مقولة يقول فيها (أخشى على الفصحى من عامية التونسي) هل هذه المقولة ما**

تزال قائمة؟ وما هي الأسباب من وجهة نظركم في تراجع اللغة العربية في المجتمعات العربية؟

- أرى أن العبء الأكبر يقع على مناهج التعليم السقيمة، وطرق التدريس العقيمة، التي لا تقدم للطلاب خاصة في مراحل التعليم الأولى أجمل إبداعات لغتنا العربية الساحرة بطريقة مبسطة وجميلة؛ ما يُخرج لنا مبدعين أو على الأقل محبين للإبداع؛ كما أن للإعلام دورًا كبيرًا أيضا، ولا تنس كذلك دور الأسرة.. ولكن أرى أن التعليم هو حجر الزاوية في ذلك.

- **اللغة العربية هويتنا وهي لغة القرآن الكريم، فكيف نحافظ على هذه الهوية؟**

- اللغة العربية لغة إلهية.. ولها سماوات إبداع لا انتهاء لها. وهذا أكثر ما يميز القصيدة العربية.. وهو اتكاؤها على لغة إلهية مرصودة للإبداع والخلق والإيجاد.. إنها لغة التكوين.. وصلصال للغات؛ ولذا.. هي تحمل جينات الخلود والبقاء، وطالما وجد القرآن الكريم وهو باق خالد.. فسوف تبقى اللغة العربية، وفي كل جيل يقيِّض الله لثلّة مبدعة أن تؤكد ذلك بإبداعاتها المتفردة.

- **حصدت الكثير من الجوائز الأدبية.. أيهما اقرب إلى قلبك؟**

- القلوب التي تحيط بقصيدتي هي جائزتي الأغلى.

- **حدثنا عن تجربتك مع برنامج أمير الشعراء؟**

- تجربة ثرة منحت شعري ما كنت أريده من ضوء في تلك الفترة، وحملته بجناحين إلى آفاق المتلقي العربي الواعي الباحث عن شِعرٍ جيد ربما تواريه الجغرافيا وتحجبه المجايلة..

- **هل ترى أن هناك أزمة حقيقية في النقد الأدبي؟ وما هي أسبابها؟**

- الرؤى النقدية كثيرة ومختلطة.. وربما متناقضة، وكثير من النقد المطروح على الساحة هو ترجمات لصيغ نقدية توافق عليها الغرب.. وربما هي بعيدة كل البعد عن طينة حضارتنا؛ لذا، لا تثمر، ولكن النقد الذي أؤمن به هو الذي ينبع من النص نفسه لا من نظريات مقتبسة، وهنا تكمن المشكلة.. حيث يبدو تماما لكل متابع أن النقد والإبداع يسيران في خطين متوازيين لا يلتقيان أبدا.

- **بعد هذا المشوار الطويل في الإبداع هل هناك قصيدة لم تكتبها بعد؟**

- بعد عشرة دواوين أستطيع أن أقول إنني خططت جيدا لمسودة قصيدتي الأولى التي لم أكتبها بعد.

- **هل ترى أن مؤسسات الدولة تقوم بواجبها تجاه الثقافة والمثقفين؟**

- الجهد الأدبي يبدأ فرديا حين يكوِّن الأديب نفسه بالقراءة والإطلاع والإبداع، ثم يأتي بعد ذلك دور المؤسسات الثقافية في رعاية المواهب، وربما تكون المؤسسات تقوم بدور ما، ولكن أظن أن الشباب من المبدعين يحتاجون دورًا



أكبر لها.

• **قصيدة النثر كيف ترى موقعها على خريطة الأدب العربي؟**

■ شريك حيوي ومؤثر، وشكل ابداعي ساحر لا يجب أن نتهمه، بل أن نستضيء به ونسمح له أن يأخذ بأيدينا في طريق التجريب الجميل، وقصيدة النثر شريك لي لا ينفك عني، وفي مؤملي أن أصنع قصيدة تنحاز للإبداع الكبير الذي ينتظم هذه الحياة بأسرها، ولذا أحب التجريب في قصيدة النثر، وأرى أنها شريك ابداعي لقصيدة العمود.. أما كون قصيدة النثر تمثل شكلا شعريا أو لا فهذا سؤال ترد عليه الأجيال القادمة. وهي بالنسبة لي شكلٌ ابداعيٌّ راقٍ لا يجب أن تخسره الحياة.

• **دواوينك الشعرية هل كلها على مسافة واحدة من قلبك؟**

■ دواويني بلا شك مثل أبنائي.. لذا فلها في القلب مكانة واحدة، ولكن الاختلاف يكون في احساسك بالديوان الأول الذي وضع اسمك على الساحة، وحمل طفولة قلمك، أو الديوان الأحدث الذي تنتظر منه أن يكون اسهامًا جادًا في الساحة الشعرية العربية، أو الديوان الذي حصل على جائزة، أو هذا الذي تكتبه الآن، وهكذا.. فكل تلك الدواوين هي أنا!

• **ما هو النص الذي تتغنى به لنفسك أو لغيرك.. ويجول بذهنك حاليا؟**

■ عندما أكون في حالة ابداع.. فعادة ما أترنم بأبيات من نصي الجديد الذي أكتبه، ولذا سأدع هذه الأبيات هدية لقارئ ديواني الجديد بإذن الله تعالى.



لطيفة لبصير:

ما أزال بصدد تكوين رؤية عن كتابة المرأة

الكاتبة والناقدة والأكاديمية المغربية الدكتورة لطيفة لبصير؛ اسم بارز في الساحة الأدبية المغربية؛ أصدرت العديد من الكتب والمجاميع القصصية التي استحسنها النقاد كما القراء، وتُرجمت أعمالها القصصية إلى عدد من اللغات. عن تجربتها في الكتابة القصصية؛ وكيف يمكن تحويل الأحداث اليومية إلى كتابة قصصية؟ وعن مجموعتها القصصية الجديدة "يحدث في تلك الغرفة" وكتابها "الجنس الملتبس" كان لـ"الجوبة" معها هذا الحوار.

■ حوارها: محمد نجيم - المغرب

• **ماذا حدث في غرفتك القصصية "يحدث في تلك الغرفة"؟**

■ الذي يحدث هو أن هذه الأشخاص وجدت نفسها أمام عطب فيزيائي غيّر من ملامحها، مثل الشخصية التي عانت من التبسم بشكل دائم، والذي أصبح معه هذا الفرح عطبًا ملازما للشخصية، تحاول أن تخفيه عن كل الآخرين. ومن هنا، يبدأ السؤال: لماذا أدّى التحوّل الفيزيائي إلى البحث عن أسباب نفسية، وكان الذي يحدث على مستوى الشكل الخارجي لا يمكن أن يفسره أو يضيئه إلا العطب

الداخلي الكامن، والذي يتأتى سواء من الطفولة أو العالم الخارجي الذي كثرت فيه الحروب أو أشكال العنف، أو الذات التي تنتفض هي أيضا ضد الشخص نفسه حين يعلن جسد طبيبة تشريح انتفاضته القصوى بعشق شفتي جسد رجل على طاولة التشريح، الذي يحدث هو ما يحدث في ذلك العرض الآخر الذي يحرك العديد من النوازع النفسية التي لا نجد لها في بعض الأحيان تأويلا مباشرًا في الواقع.

- **تطورت القصة القصيرة المغربية بشكل كبير جدا؛ بالنسبة للكاتبة، هل تساير طرق التحديث التي يعمل عليها الرجل، أم أنها وجدت لنفسها نسقًا خاصاً؟**

■ أرى أن الكاتبة المغربية تخوض تيمات أخرى رغم التشابه في بعض الأحيان بينها وبين الرجل، لكن الرؤية مختلفة، ونحن في حاجة إلى هذه الزاوية التي تطرق أبوابًا أخرى ظلت معتمة رغم كل شيء، ولا أحصرها في الجنس؛ لأنه يظل جزءًا فقط مما تعيشه الأنثى، فهناك العديد من المواقف والبناءات النفسية ما تزال معقدة، والسبب كامن وراء ضيق أفق القواعد التي تملى كقانون يُسيِّر حيوات النساء؛ ولذا، فإن الكاتبة مهما ابتعدت عن ذاتها، فإنها



تجد نفسها بأسلوب الحياة نفسها الذي يملي على الأعصاب هذا الجدل القائم بين الأفق والحياة التي تحياها. ومن حق الكتابة أن تنزع نحو أحلام أخرى، وأن تشاكس شخوصًا ظلوا لفترة حبيسي ذواتهم؛ لأنهم يشعرون بالخوف.

- **نلتِ الكثير من الجوائز الأدبية التي تمنح في الإمارات؛ كيف تقرأين المشهد الثقافي هناك؟**

■ قبل سنوات، تعرفت إلى الكاتبة ميسون صقر، وقرأت إبداعاتها الشعرية الجميلة، كما قرأت روايتها التي تعد سيرة ذاتية "ريحانة"، وأعجبت بهذا النص، كما عرفت الكاتبة ظبية خميس،

والآن أتعرف إلى تجارب نسائية أخرى بـدأتُ بالفعل بالقراءة لها، وهُــنَّ على التوالي: أسماء الزرعوني، فتحية النمر، لولوة المنصوري، فاطمة المزروعي..وما أزال بصدد تكوين رؤية عن الكتابة التي تكتبها المرأة، وأرى أن هذه التجارب ستأخذ مسارًا آخر قادمًا، عبر التنويع الكمي والنوعي.

- **كتابك "الجنس الملتبس"، السيرة الذاتية النسائية سيكون حاضرًا في معرض الرياض، حدثينا عن هذا الكتاب؟**

■ نعم سيكون حاضرًا في جناح المركز الثقافي للكتاب، وقد قمت بتوقيع له خلال معرض أبو ظبي للكتاب الذي حضرته مؤخرًا، كما قدمت محاضرة تقترب من هذه التجربة.. وهي عن علاقة السيرة الذاتية بالتحليل النفسي.

الكتاب هو دراسة للسير الذاتية النسائية التي تكتبها النساء، والذي يخلق جمالية خاصة، مثل وجود العديد من عناصر المشابهة بين الذات التي تتكلم والذات الموصوفة؛ ما جعل هذه السير أشبه بشخوص أخرى غير الشخوص الحقيقية، وهو اشتغال على الأسلوب واللغة ودورانها وكيف تعمل على مستوى الشكل قبل المحتوى على إخفاء حقيقة الجملة المستقيمة التي نبحث عنها ضمن ما نقرأ في السير الذاتية عموما كتعاقد ضمني بيننا وبين كتاب السيرة، لكننا لا نجد ما نتوقعه،؛ وبالأحرى، فنحن نقرأ عوالم أخرى تصنع سيرًا غير حقيقية بالمعنى التقليدي، ولكنها تفسح المجال لكي تتدخل أساليب أخرى من قبيل القلب والتهوين والتلطيف والمجاز المرسل إلى غيرها من الأساليب. والكتاب فيه العديد من العناصر التي تتحدث عن المحكي الذاتي وصنع الرواية الأسرية التي هي أساس كل إبداع وخلق وشخصية أيضا.

- **ما هو الإبداع في نظر الدكتورة لطيفة لبصير؟**

■ أتصور أن الإبداع هو ذلك الكيف الهجين لمجموعة من الأحلام وأحلام اليقظة والأعطاب النفسية والكتب التي نقرأ أيضا، وأتخيل أنني أكتب مما يتشكل من أعصابي وأليافها التي تورق هذه التفاصيل دون تلك؛ لذا، لا أتخيل أنني أختار موضوعًا ما بمحض المصادفة، بل هو نتاج تلاقح كل هذه العناصر جميعها، وهي مَن يتحدث عبر أشخاص آخرين.

شجرة السرح رمز الأنوثة..!

■ أحمد إبراهيم البوق*

ليس غريبا أن ترتبط الشجرة بالأنثى، فكلاهما مصدر للحياة والبهجة، وبينهما تقاطعات كثيرة ليست رمزية، محصورة في الظل الوارف والعطاء المستمر؛ ولكن، أحيانا ثمة تقاطعات شكلية وصفات مشتركة. وفي الشعر كثير من الوصف المشترك بين المرأة والشجرة، وتسرب ذلك في الغناء من القدود الحلبية و (قدك المياس يا عمري.. يا غصين البان كاليسر)، إلى الموشحات الأندلسية عند أبي بكر محمد بن زهر الأشبيلي: (غصن بان مال من حيث استوى/بات مَن يهواه من فرط الجوى/ خافق الأحشاء موهون القوى).

رمز للأنوثة والشعر..!

ولكن كيف تحولت شجرة صحراوية دائمة الخضرة كشجرة السرح إلى رمز للأنوثة في الشعر العربي وتحديدا في صدر الإسلام؟ وتسمى الشجرة الواحدة سرحة، وهي أشجار صحراوية تتحمل الجفاف بكثرة وان كانت تنمو أحيانا في الجبال، وقد يصل ارتفاعها الى (٦) أمتار أو تزيد، وربما يرجع اسم السرحة الى انسراح اغصانها وذهابها في الجهات. ومن أسمائها المرو، وقد استخدم هذا الاسم في تصنيفها العلمي

Maeruacrassifolia، وكان المصنف الفرنسي بيتر فورسكال Peter Forskal قد زار اليمن عام ١٧٦٠م، وهو من صنفها علميًا، تحت النوع العربي. وربما تكرست رمزية شجرة السرح للدلالة على الأنثى؛ عندما حظر الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه على الشعراء التعريض بأسماء النساء في شعرهم، فاستعاضوا عن ذلك بشجرة السرح. ومن أشهر القصائد التي رمزت للمرأة بشجرة السرح قصيدة حميد بن ثور الهلالي، وهو من الشعراء المخضرمين (في الجاهلية وصدر الإسلام)، وعاصر الخليفة عمر بن الخطاب ويقول في قصيدته:

سقى السرحة المحلال والأبطح الذي
بـه الـشـري غـيـث مـدجـن وبـروق

فما ذهبت عرضا ولا فوق طولها
مـن الـسـرح إلا عـشـة وسـحـوق

وهو يصف هذه الشجرة/المرأة التي يدعو لها بالمطر، وبأن أفنانها عالية، وجذورها عميقة تصل لمنابع الماء، وهو وصف دقيق واقعي لأشجار السرح الدائمة الخضرة، والتي تتعمق جذوها في الأرض ثلاثين مترا أو تزيد. ويصف طيب ريحها وبرد ظلها في الظهيرة، وهو كذلك وصف مشترك ودقيق؛ إذ إن لزهور أشجار السرح شذىً طيب الرائحة يجذب إليه النحل وينتج منه عسلا أبيضَ شفافًا غالي الثمن. ولكن الطريق إلى سرحة حميد بن ثور مسدود، فحول سرحته رجال أشداء يحمون ظلها من غرام الطائفين، فلا هو قادرٌ أن يستظل بظلها في الضحى، ولا هو ذائق فيأها بالعشي برغم وجده على ظلها. وفي ذلك يقول:

علا النبت حتى طال أفنانها العلا
وفـي الـمـاء أصـل ثـابـت وعـروق

فيا طيب رياها ويا برد ظلها
إذا حـان مـن شـمـس الـنـهار وديق

وهل أنا إن عللت نفسي بسرحة
مـن الـسـرح مـسـدود علـيّ طريق

حمى ظلها شكس الخليقة خائف
عليها غـرام الـطـائـفـيـن شـفـيق

فلا الظل منها بالضحى تستطيعه
ولا الـفـيء منـهـا بـالـعـشـي تـذوق

ومـا وجـد مـشـتـاق أصـيـب فـؤاده
أخـي شـهـوات بـالـعـنـاق لـبيق





بأكثر من وجدي على ظل سرحة
من السرح إذ أضحى عليّ رفيق

السرح دواء..!

ولأشجار السرح قيم طبية، كما تداوي النساء جروح الرجال وتجبر كسورهم، فأوراقها غنية بمادة الكالسيوم؛ لذا، تستخدم في الطب الشعبي لمداواة كسور العظام، وتستخدم بذورها في الطب الشعبي قديما، وكانت شجرة السرح مقدسة في مصر الفرعونية، ويستخدم مسحوق الأوراق في علاج الحمى والأمراض المعدية والجلدية. وللقيمة الغذائية للأوراق يمكن أن تستخدم في أوقات الشح كغذاء، وبعض القبائل الإفريقية تخلط أوراق السرح مع حليب الأغنام وتشربه كغذاء رئيس لها، وثمارها سائغة المذاق للإنسان والحيوان، وتستخدم في إفريقيا لصناعة الحساء وأطباق أخرى. إذ تنتشر هذه الأشجار من إفريقيا والشرق الأوسط إلى شبه القارة الهندية وتحديدًا في المناطق الجافة. وتستخدم أخشاب أشجار السرح قديمًا في بناء البيوت لصلابتها، وفي صناعة السواني، كما تستخدم أغصانها كسواك في بعض المناطق البرية. ولكنها لا تحتطب كوقود، لأن دخان أخشابها يترك نكهة غير مستساغة في الغذاء، كما تستخدم أشجار السرح في الزينة في المناطق الجافة، فهي لا تحتاج إلى رعاية كبيرة.

الطيور الصحراوية..!

وتعشش عليها الطيور الصحراوية الكبيرة كالنسور والحدات والغربان، وتنتمي للعائلة الكبرية Capparaceae، وكبقية أفراد هذه العائلة النباتية جيدة لرعي المواشي كالإبل وآكلات الأوراق كالظباء والنعام، وقد ورد في الشعر الجاهلي إشارات لتغذي النعام على ثمارها والتي تسمى (الآء) وواحدتها (آءة) ومن ذلك قول الشاعر الجاهلي ثعلبة بن صعير يصف غذاء النعام عليه:

طرفت مراودها وغرد سقبها
بالآء والحدج الرواء الحادر

وكذلك قول ذي الرمة (ت ٧٣٥م) يصف التهاء النعام بالتغذي على ثمار السرح وأوراقه، وعلى نبات التنوم:

الهاه آء وتنوم وعقبته
من لائح المرو والمرعى له عقب

ومن أسماء ثمار السرح: الدواني، والهدال، وفي جازان يسمى المصيص، وقد

وصف الشاعر المخضرم تميم بن أبي بن مقبل غذاء الإبل وطيور القطا عليه:

إذا ظلت العيس الخوامس والقطا
معًا في هدال يتبع الريح مائله

ولأشجار السرح حضور في الشعر الشعبي في الجزيرة العربية، وعرفت بين أبناء البادية كمقيل للظباء والطيور، ومن ذلك قول الشاعر:

سرحة وتسريحة مقيل الظبيات
والسرحة القصيا مقيل القماري

والتسريحة نوع آخر من الأشجار وقريب من السرح. والسرح ملاذ لبدو الصحراء للاستظلال بفيئها الوفير، واحتساء القهوة، ومن ذلك قولهم:

يا محلا الفنجان بأرض براحي
ريح العويدي ذاعرة عقب ما فاح
في ظل سرحة والركايب ضواحي
والبال من كثر الهواجيس من ساح

وفي محمية محازة الصيد/ الإمام سعود ابن عبدالعزيز حاليا، والتي تبعد نحو ١٥٠ كم شرق مدينة الطائف شجرة سرح شهيرة كان يستظل بفيئها الملك فيصل بن عبدالعزيز رحمه الله عندما كان نائبا للملك عبدالعزيز على الحجاز، وكان مقناصه في تلك المنطقة المشهورة بكثرة الظباء. وقد وقف على سرحة الفيصل الأمير خالد الفيصل قبل سنوات قليلة في إحدى زياراته للمحمية، ورسمها وكتب شعرًا يستنطق فيه السرحة التي تسأل عن ضيفها العزيز الفيصل بن عبدالعزيز، ومما قال فيها:

يا سرحة الفيصل قصدناك
تدفعني الذكرى لنجواك
يا سرحة بالله قولي لي
كيف استقمتِ له إذا جاك؟

والسرح شجر طوال، وهي كذلك من صفات الجمال عند المرأة، وفي طول أشجار السرح يصف عنترة بن شداد أحد الأبطال وكأن ثيابه معلقة في سرحة:

بطل كأن ثيابه في سرحة
يحذى نعال السبت ليس بتوأم

ونعود لربط السرحة بالمرأة في قول الشاعر إن ظلها البارد مقصد الركبان في هجير الصحراء، ولكن ماءها العذب لا يحل لوارد:

فيا سرحة الركبان ظلك بارد
وماؤك عذبٌ لا يحل لوارد

ونختم ببيت لحميد بن ثور يرى فيه أن سرحته تفوق كل السرحات ظلاً كما يفوق جمال الحبيبة جمال كل النساء في عيون عاشقها:

أبى الله إلا أن سرحة مالك
على كل أفنان العضاة تروق

* باحث وشاعر سعودي.

السينـما بين الاستهلاكِ والفنِّ

■ منصف القرطبي*

يجري التعامل اليوم مع السينما وماهيتها ولغتها الخاصة كما لو أنها مجال انتهى البحث في موارده المادية والرمزية، وانتهت الأسئلة التي يطرحها على الباحثين والسينمائيين والمهتمين بسؤال المعرفة والإبداع. إذا سألت أحداً -يشاهد الأفلام ويهتم بها- عن مفهوم السينما، قد يجيبك - للأسف - بالقول: السينما هي لقطات ومشاهد وشخصيات وزمن و..!

وهو سؤال يقودنا إلى أسئلة أخرى: هل يكفي أن تتوافر في الفيلم لقطات ومشاهد وشخصيات وفضاءات حتى ننسبه إلى السينما وعوالمها؟ وما علاقة السينما بالفن؟ ما علاقة السينما بالصورة؟ كيف توظِّف السينما الصورة والكادر والإضاءة؟

هكذا، يجد الباحث سيلاً من الأسئلة العلمية والمعرفية التي تحتاج إلى تأمل طويل، وبدلاً من البحث عن تحديد السينما من الخارج (العوامل التي تحيط بالسينما، وتؤثر فيها داخليا؛ من عوامل اجتماعية واقتصادية وسياسية ونفسية... إلخ) يجب إيجاد التعريف من الداخل، أي من بنيتها ولغتها وتقنياتها، وما يميّزها عن الأشكال التعبيرية والفنية الأخرى، مثل: الرواية، المسرح، القصة..

وقد يطرح القارئ سؤالاً مشروعا: أليست الشخصيات والأزمنة والفضاءات من خصائص السينما؟

نسأله: ألا تحضر هذه العناصر في الرواية والمسرح وباقي الأجناس الأدبية؟ ما الفرق بين السينما والرواية؟ وهل يمكن أن نقارن بينهما؟

يرى الناقد السينمائي حمادي كيروم أنه لا يمكن أن نطرح الرواية والسينما للمقارنة، والبحث فيهما عن المشابهة والاختلاف؛ ذلك أن للرواية نسقها الخاص الذي هو اللغة الأدبية؛

أي ما هو مكتوب ومدوّن، ما خطّه الروائي من كلمات لها دلالتها الثقافية والمعجمية والاجتماعية، في حين نجد نسق السينما مختلفًا جدًا؛ فهو نسق سيميولوجي، نسق متعدد (أو أنساق صغرى): نجد النسق التشكيلي: من خطوط وألوان تشكيلية، لها دلالتها السيميائية، من إطار وتكوينات..كما يحضر النسق البصري: من خلال الأيقونة، أي شيء نبصره ويحيل على معطى خارجي، والنسق اللساني: (من خلال الحوار والكلام الذي يدور بين الشخصيات)؛ أي ما يتعلق باللغة المنطوقة والمكتوبة في الفيلم. والنسق الرمزي: الذي نجد فيه شيئا يحيل على شيء، يحيل هو بدوره على دلالة ثقافية أو سياسية أو اجتماعية.. أي أنه يخضع للعلامة كما نظر لها السيميائي بيرس (مأثول يحيل على موضوع من خلال مؤول).

تتميز السينما بلغتها السينمائية أو البصرية؛ أي "السينماتوغرافيا" cinematographie: تأطير اللقطة، زاوية الكاميرا والرؤية، الإضاءة.. إلخ. لذلك، فإن توظيف هذه العناصر في مكانها ووضعها الدلالي الموضوعي - الذي يخدم الدراما - هو الذي يميِّز السينما عن باقي الأجناس الأخرى.

وهكذا، فإن سؤال المقارنة بين السينما وأي جنس أدبي آخر غير وارد؛ نظرا للاختلاف بين الرواية - مثلا - ذات النسق الوحيد (اللغوي) والسينما (ذات الأنساق المتعددة)، وأيضا، لأن السينما تنتمي إلى الفن وجمالياته؛ بينما الرواية جنس أدبي له تقنياته الخاصة.

وبعد هذا، يطرحُ التساؤل حول السينما؛ متى تكون فنًّا ومتى تكون منتوجًا استهلاكيًا؟

يقتضي هذا طرح سؤال آخر: هل غاية الفن الاستهلاك والتسلية والمتعة فقط، أم أنَّ له غايات جمالية وفكرية وفلسفية؟

ذلك أنَّ أشكالا تعبيرية كثيرة تحقق التسلية والفرجة والمتعة (النكتة، الكوميديا، الحلقة..)؛ بينما حاول السينمائيون منذ زمن أن يتجاوزوا التسلية والمتعة فقط إلى تحقيق غايات روحية ووجدانية وفكرية، تسمو بالذوق وترتقي بالمجتمع وأفراده. لذلك، نلاحظ أن المجتمعات المتخلّفة لا تنتج أعمالا سينمائية ذات قيمة فنية وفكرية؛ فهي مجتمعات تفضّل التسلية السطحية والاستهلاك النهم للأفلام التي تحرك بعض الغرائز (الأكل والشراب، الجنس..).

للفن قيمته التاريخية والفكرية والفلسفية التي رفعت مستوى وعي مجتمعات رأت في الفنّ وسيلةً جبارةً لتنمية الأفرادٍ ودعوتهم إلى الإبداع والابتكار والنقد.

حين تجتمع في الفيلم السينمائي العناصر التي ذكرناها آنفا، ويوظف المخرج "السينماتوغرافيا" توظيفًا خلاقًا، يمكننا أن نتحدث عن الفن والجمال، اللّذيْن حرص مخرجون عظماء على ابتكارهما وتأسيسهما، بعيدًا من الاستهلاك الأعمى والتسلية الساذجة!

* باحث في السينما من المغرب.

وادي بطحان

جزء من ثقافة شعراء محبي طيبة قديما

■ د. تنيضب الفايدي*

تحيط المدينة النبوية الكثير من الجبال والحرار من جميع جهاتها؛ لذا، تكثر الأودية فيها، ويمكن تصنيفها إلى قسمين[1]:

أودية شهيرة وهي: وادي العقيق أو الوادي المبارك، وادي بطحان، وادي الرانوناء، وادي مهزور، وادي قناة، وادي مذينيب. وأودية أقل شهرة وهي: وادي شظاه، وادي الصرار، وادي جفاف، وادي العريض.

وتمتاز تلك الأودية بميزات وخصائص جعلت الإنسان يحرص على السكنى فيها. ومن أهم خصائصها: وفرة المياه، وخصوبة التربة، ونظافة البيئة، وجوّها اللطيف؛ فشهدت تلك الأودية حضارات قديمة، حيث سكنت على ضفافها قبائل عربية أرست دعائم التطور الحضاري، وبعضها ورد ذكره في أحاديث الرسول ﷺ، وهناك أودية أخرى ارتبطت بالحوادث التاريخية الإسلامية. وتتمتع تلك الأودية بعمق حضاري بوصفها حاضنةً لجزء من التاريخ والثقافة؛ لذا، فإنها من مثيرات الأشواق إليها منذ القدم، فكم من الشعراء تغلغل حبّها في قلوبهم فنفثوا هذا الحب شعراً ونثراً.

ومن أبرز تلك الأودية وادي بطحان الذي يسير من جنوبها وحتى غربها، وهو من أشهر أودية المدينة المنورة بعد العقيق، إن لم يكن متساوياً معه في الشهرة، ولما قدم اليهود اختار بنو النضير بطحان، فاتخذوا بها الحدائق والآطام وبقوا فيها إلى أن



صورة المدينة المنورة عند ما كانت تذكر أوديتها في التاريخ وتوصف بأن بعضها يقع غرب المدينة وبعضها في الشرق وبعضها في الشمال، أما الآن فإن تلك الأودية تقع في قلب المدينة المنورة حيث أصبحت هذه الصورة حالياً تمثل الحرم كاملاً

أجلاهم رسول الله ﷺ بسبب غدرهم وخيانتهم ونقضهم العهد، وذلك في غزوة بني النضير[٣].

ووادي بطحان يخترق المدينة المنورة، ويطلق عليه هذه التسمية (وادي بطحان) بدءاً من شرق مسجد قباء، ويتشكل من أودية عديدة، وهو يبدأ بشعب العجوز الذي يأتي من ظاهر المدينة المنورة من حرة شوران، ثم وادي مذينيب يرفده من الجنوب الشرقي ويلتقي مع وادي بطحان شرق مسجد قباء تقريباً عند تكونه، أوله من الماجشونية[٣]، ثم يمر كذلك إلى أن يمر غربي سور المدينة إلى طرف المصلى، ثم يخرج إلى غربي سلع وقرب مساجد الفتح، ثم يمر كذلك إلى أن يلتقي مع العقيق بالغابة، حيث مجتمع الأسيال[٤]. وروى ابن زبالة أنه يأتي من العلاتين حلاتي صعب على بعد سبعة أميال من المدينة تقريبا، ثم يصل إلى وادي جفاف شرقي مسجد قباء.

وعلى جانبي وادي بطحان كانت منازل الأوس والخزرج، وتحدد مواقعهم بهذا الوادي، إضافة إلى بعض المساجد الشهيرة كمسجد الفضيخ (مسجد الشمس) الذي يقع على شفير الوادي (عندما يكون شرق قباء)، وغير بعيد عن شاطئه الشرقي توجد آبار مباركة عديدة، مثل: بئر العهن، وبئر غرس، وفي منتصفه (تربة صعيب)، وهي من المواقع التي يستشفى بإذن الله بترابها وبغيرها من الأماكن في المدينة المنورة.

وبين قباء وصدر بطحان توجد العين الزرقاء، و كانت العين الزرقاء تعدُّ المصدر



وادي بطحان أثناء السيل

الأساس للماء داخل المدينة المنورة من عهد معاوية بن أبي سفيان، رضي الله عنه، وحتى عهد قريب، وقد أجرى مروان بن الحكم أمير المدينة المنورة في عهد معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، وجعل لها مناهل عديدة داخل المدينة، ينزل إليها بدرج، وقد أطلق على (العين) عين الأزرق نسبة إليه لزرقة في عينيه(٥).

أما تسمية بطحان فقيل: سمي بطحان لأن القسم الذي يجري فيه داخل المدينة سهل منبطح.

وقد وردت بعض الأحاديث الشريفة حول وادي بطحان، فعن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «بطحانُ على ترعة من ترع الجنة»(٦).

وعن إِسْحَاقُ بنُ سَالِمٍ مَوْلَى نَوْفَلِ بنِ عَدِيٍ أخبرني بَكْرُ بنُ مُبَشِّرٍ الأَنْصَارِيُّ، قال: كنتُ أَغْدُو مع أَصْحَابِ رسولِ الله ﷺ إِلَى الْمُصَلَّى يَوْمَ الْفِطْرِ وَيَومَ الأَضْحَى، فَنَسْلُكَ بَطْنَ بَطْحَانَ حتَّى نَأْتِيَ الْمُصَلَّى فَنُصَلِّيَ مع رسولِ الله ﷺ ثُمَّ نَرْجِعُ مِنْ بَطْنِ بَطْحَانَ إِلَى بُيُوتِنَا.

كما ورد ذكر بطحان في حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه، قال: «خرج رسول الله ﷺ ونحن في الصفّة، فقال: أيكم يحب أن يغدو كل يوم إلى بطحان، أو إلى العقيق، فيأتي منه بناقتين كوماوين، في غير إثم، ولا قطع رحم، فقلنا: يا رسول الله نحب ذلك، قال: أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد، فيعلم أو يقرأ آيتين من كتاب الله عز وجل خير له من ناقتين، وثلاث خير له من ثلاث، وأربع خير له من أربع، ومن أعدادهن من الإبل.

وقد روي أن النبي ﷺ توضأ من هذا

الوادي يوم غزوة الأحزاب.

ووادي بطحان اشتاق إليه الناس وصافوه الود، بل إن أحدهم يدفع أحزانه بأخرى شوقاً إلى «أهل بطحان وما يحيط به»:

أبا سعيدٍ لم أزل بَعدكم
في كُرَبٍ للشوق تغشاني

كم مجلس ولّى بلذاته
لم يَهْنني إذ غاب نُدْماني

سقياً لسَلْع ولساحاتها
والعيش في أكناف بُطْحان

أمسيتُ من شوق إلى أهلها
أدفعُ أحزاناً بأحزان [٧]

ويقول أحد الشعراء وهو يستعرض أهم أودية المدينة استعراضاً شاملاً، ومنها وادي بطحان، وركَّز فيه على الدور الكبير للأودية في ري النخيل والمزروعات.

ويقول أحد الشعراء وهو يستعرض أهم أودية المدينة استعراضا شاملاً، ومنها وادي بطحان، وركز فيه على الدور الكبير للأودية في ريِّ النخيل والمزروعات ودور الأقنية والعيون في توفير مياه الشرب لأهل المدينة[٨]:

أيا نسيم الصبا بلّغ أحبتنا
أني مقيمٌ على "العلياء" أرعاها

حيث "العقيق" و "بطحان" وأقنية
تروي النخيل ويروي الناس ريّاها

وحيث وادي "قبا" والماءُ يلبسهُ
برد الربيع وعاداتٌ ألفناها

وفي "العوالي" وفي "قربان" أودية
يا حبذا هي مُرتاداً وسُكناها



مسار وادي بطحان

ما أنس لا أنسَ وادي السد يجمعنا
وكم به من ليالٍ طاب مثواها

مرّت كحلمٍ ولم تبرح معالمها
في القلب ماثلةً تحيا ونحياها

وقال ابن مُقْبِل:

عفا بَطِحَانٌ من سُلَيْمَى فيَثْرِبُ
فملقى الرحال من مِنًى فالمُحَصَّبُ

وقد قسّم بعض الشعراء وادي بطحان إلى (المنحنى، النقا، وحاجر) وهذه ترد كثيراً في حب المدينة المنورة، فلابد من ذكر بعض الكلمات حولها:

المنحنى: يقابل النقا من الجهة الشرقية من وادي بطحان، أي: جنوب وشرق مسجد الغمامة حالياً، وقد تغير وضعه وأصبح موقعه عمارات شاهقة.

النقا: الجانب الأيسر لوادي بطحان عند دخوله المدينة المنورة القديمة حتى باب العنبرية حالياً، ثم تبدأ (حاجر) حتى وادي العقيق.

عين النقا: عين (بكسر العين) جمع عيناء أي: واسعات الأعين حسانها، وحسن عيد الأنثى يعد مجمع الحسن وأعظم الأدلة على جمالها، ولاسيما إذا كانت حوراء (حور عين)، والحوراء التي في عينها كحل وملاحة وحسن وبهاء.

وكم تردد ذكرهما مع غيرهما في شعر الحنين المعبر عن أنبل العواطف وأرق المشاعر إلى المدينة الحبيبة، فهذه الكلمات قيلت في تذكّر أهل وادي بطحان ولاسيما أهل النقا، إذ بدأ قصيدته:

مَن عذيري يوم شرقيّ الحمى
من هوىً جدّ بقلبٍ مزحا

نظرةٌ عادتْ فعادتْ حسرةً
قَتَلَ الرامي بها من جرَحا

فلن يستطردن بي (عين النقا)
رجلٌ جُنّ وقد كان صحا

والنقا وحاجر مع المنحنى أكثر الكلمات



وادي بطحان بالمدينة المنورة



سد وادي بطحان

ذكراً عند البكاء شوقاً للمدينة المنورة.

والنقا مقصوراً ما بين وادي بطحان والمنزلة التي بها السقيا، وهناك أشعار ورد فيها النقا فمن ذلك[٩]:

ألا يا سائراً في قفر عمر
يكابد في السُّرى وعراً وسهلا

بلغت نقا المشيب وجزت عنه
وما بعد النَّقا إلا المصلَّى

وقال أبو محاسن الشوا[١٠]:

هاتيك يا صاح ربى لعلع
ناشدتك الله فعرِّج معي

وأنزل بنا بين بيوت النَّقا
فقد غدت آهلة المربع

حتى نطيل اليوم وقفاً على الـ
ـساكن أو عطفاً على الموضع

وها هو الشاعر يحنُّ إلى أهل النقا بوادي بطحان:

اذكرونا مثل ذكرانا لكم
رب ذكرى قربت من نزحا

واذكروا صباً إذا غنى بكم
شرب الدمع، وعاف القدحا

وقال الشاب الظريف[١١]:

ولقد رأيت برامة بان النقا
فمنعت طرفي منه أن يتمتّعا

وما ذاك من ورع ولكن من رأى
أشباه عِطفك حُقَّ أن يتورّعا

وقال البها زهير[١٢]:

ولي فيه قلب بالغرام مُقيّد
له خبر يرويه طرفي مطلقا

ومن فرط وَجدي في لماه وثغره
أعلّل قلبي بالعُذيب وبالنَّقا

وقال ابن الحُلاوي[١٣]:

يقولون: يحكي البدر في الحسن وجهه
وبدر الدجى عن ذلك الحسنِ مُنحطّ

كما شبَّهوا غصن النَّقا بقوامه
وذلك تشبيه عن الحقّ مُشْتط

وقال آخر(١٤):

قرب الديار يزيد شوقَ الوالهِ
لاسيّما إن لاح نورُ جمالهِ

أو بشّر الحادي بأن لاح النَّقا
وبدت على بُعدٍ رءوس جباله

فهناك عِيلَ الصبرُ من ذي صبوةٍ
وبدا الذي يخفيه من أحواله

وتذكر كلمات مثل: المنحنى، وحاجر، والنقا، وسلع، وأحد، ووادي بطحان، ووادي الرانوناء، ووادي العقيق، وادي قناة، وإضم، وقباء، والعوالي، والجزع، وسليع، ثنيات الوداع، وذي سلم، وشوران، تذكر هذه الكلمات يولّد الحبّ فيقبل الناس بقلوبهم وعواطفهم إلى المدينة وكم من محب وقف بها، وقد طفرت دمعة صامتة تظهر كوامن النفس ومكنون الضمير وخبايا الشعور.

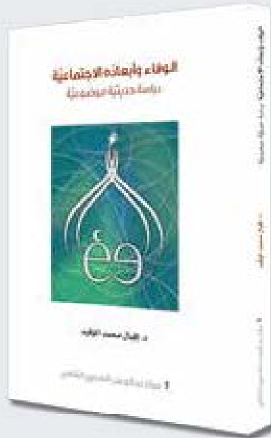
يا نسيم الريح من كاظمة
شد ما هجت الأسا والبرحا

الصبا إن كان لا بد الصبا
إنها كانت لقلبي أروحا

اختفى الآن وادي بطحان واختفت معه الأودية المكوّنة له، وغابت عن الأنظار الكثير من المآثر المرتبطة به، فقد غُطي مجرى بطحان قبل عدة سنوات بدءاً من منطقة قربان.

---

* كاتب ومؤلف سعودي.
(١) دفاعاً عن الحبيب للدكتور تنيضب الفايدي (ص٧٢).
(٢) الأودية والآبار في مدينة المختار (بين الأدب والتاريخ)، للدكتور تنيضب الفايدي، تحت الطبع.
(٣) الماجشونية: نسبة إلى ماجشون وهو موضع بوادي بطحان من المدينة، وبقربه تربة صعيب، ويقال: الماجشونية هي الحديقة المعروفة اليوم بالمدشونية (وقد أزيلت حالياً) . المغانم المطابة في معالم طابة للفيروزآبادي، (ص ٣٦٦).
(٤) نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار للورثلاني (ص ٥٢٦).
(٥) التعريف بما آنست الهجرة من معالم دار الهجرة للمطري، (ص ١٦٢). التحفة الشماء في تاريخ العين الزرقاء: تعليق: عبيد الله محمد كردي (ص ٢٥٠).
(٦) التاريخ الكبير (٢/٥١) والبزار كما في كشف الأستار (٢/٥٨)، والحديث حسن بمجموع طرقه، وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢/٤١١).
(٧) المغانم المطابة في معالم طابة للفيروزآبادي، (٢/٦٦٨).
(٨) مجلة الجامعة الإسلامية، العدد (٥٢).
(٩) الجواهر الثمينة في محاسن المدينة للكبريت، (١/٣٣٦).
(١٠) وفيات الأعيان في أنباء أبناء الزمان: لابن خلكان (٧/٢٣٢).
(١١) الجواهر الثمينة في محاسن المدينة للكبريت، مصدر سابق، (١/٣٣٧).
(١٢) المصدر السابق (١/٣٣٧).
(١٣) المصدر السابق (١/٣٣٧).
(١٤) المصدر السابق (١/٣٣٨).



الوفـــــاءُ

وأبعادُه الاجتماعية

دراسةٌ حديثيةٌ موضوعيةٌ

المؤلف : د. إقبال محمد الوقيد

الناشر : مركز عبدالرحمن السديري الثقافي

السنة : ٢٠١٩م

▪ كتب جهاد أبو مهنا

صدر حديثاً ضمن برنامج النشر ودعم الأبحاث في مركز عبدالرحمن السديري الثقافي كتاب الوفاء وأبعاده الاجتماعية، لمؤلفته د. إقبال الوقيد، وهو في الأصل رسالة قدمتها المؤلفة استكمالا لمتطلبات درجة الدكتوراه في جامعة اليرموك.

يتناول هذا الكتاب موضوع الوفاء في السنة النبوية وأبعاده الاجتماعية، الذي لم تسبق دراسته دراسة حديثية مستقلة، تأكيداً لأثر الوفاء في تحقيق البعد الاجتماعي، وجاء الكتاب في مقدمة وتمهيد وبابين: الباب الأول: تعريف الوفاء وأهميته، والباب الثاني في مجالات الوفاء ومنظور السنة النبوية في تحقيق البعد الاجتماعي، ومنها الوفاء بالعهود مع الله سبحانه وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، والمعاهدات، والوفاء بالعقود والنذور والأيمان والوعود، والوفاء برد الجميل والاعتراف بالنعمة. وكشفت الدراسة عن منظور السنة النبوية في تحقيق الوفاء لبعده الاجتماعي وإحداث التغيير، ثم الخاتمة وأهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

كما أكدت السُّنَّة النبوية على أهمية الوفاء بأساليب متعددة من خلال الترغيب والترهيب والإغراء والمدح، وكشفت الدراسة عن أهم المعايير والضوابط الإيمانية والسلوكية والاجتماعية الموجهة لهذا الخُلق، والتي وضعتها السُّنَّة النبوية وأيدتها الآيات القرآنية، من خلال تقرير مبدأ الاستطاعة، والنهي عن تعذيب النفس، وتحرّي النفع المجتمعي وشمول الوفاء لجميع فئات المجتمع.

وكشفت هذه الدراسة أثر الوفاء في تحقيق البعد المجتمعيّ من خلال إزالة المعوقات كالكفر والنفاق، ورذائل الأخلاق والسلوكيات والتدابير الخاطئة، وأثره في بناء المجتمعات من خلال تطبيق الوفاء، من الشكر والإحسان والإخلاص وأداء الحقوق في جميع الجوانب.

يأتي هذا الإصدار لغرض الإسهام في رفد المكتبة في المملكة بالدراسات العلمية الجامعية في مختلف المجالات وتوفير مراجع علمية محكّمة بين أيدي الباحثين والمهتمين من القرّاء.

بيتر هاندكه

■ صلاح القرشي*

هل يستطيع القارئُ الفصلَ بين إبداع الكاتب ومواقفه في الحياة العامة بكافة أشكالها؟ هل تؤثر المواقف التي يتخذها الكاتب في تفاعل القراء والنقاد مع منجزه الأدبي؟

هذه الأسئلة وغيرها عادت مرة أخرى، مع منح نوبل جائزتها في الأدب للروائي النمساوي بيتر هاندكه.

ويمكن تلخيص الجدل الذي دار بشأن هذا الأمر إلى موقفين بارزين: فهنالك مَن يرى أن ليس من شأن جائزة أدبية أن تبحث فيما هو خارج الإبداع الأدبي مما يختلف حوله الناس.

ليس لها أن تنظر إلى أمثال بيتر هاندكه، وقبله غونتر غراس وغيرهما إلا من زاوية الإبداع الأدبي فقط؛ فيما يرى آخرون أن هذا الفصل يبدو صعبًا بل وأحيانًا يبدو مستحيلا.

وهناك مَن يعتقد أن الجائزة التي تسامحت مع هاندكه لم تفعل هذا مع الألباني إسماعيل قادري الذي يعتقد كثيرون أن ارتباط اسمه بديكتاتور ألبانيا السابق أنور خوجة قد أسهم في عدم حصوله على جائزة نوبل.

هؤلاء يستشهدون بأن هاندكه نفسه قد واجه هتافات تتهمه بالفاشية وهو يتجه وقتها لاستلام جائزة الكاتب المسرحي هنريك إبسن المرموقة عام ٢٠١٤م.

وقبلها في عام ٢٠٠٦م -وهو العام الذي شارك فيه في جنازة الرئيس الصربي ميلوسوفيتش الذي مات في سجنه وهو يحاكم كمجرم حرب- في ذلك العام قررت لجنة تحكيم مستقلة الاحتفاء بالمنجز الأدبي لهاندكه، ومنحه جائزة الشاعر هاينريش هاينه التي تعطيها مدينة دسلدورف، والتي تبلغ قيمتها خمسين ألف يورو؛ لكن الانتقادات ثارت، واحتج مجلس المدينة على قرار اللجنة المستقلة، وعندها شعر هاندكه بالإهانة وتخلى طواعية عن الجائزة ونقودها؛ ومن هنا، تبدو صعوبة الفصل.. فالمواقف التي يتخذها الكاتب تطغى أحيانا على إبداعه الأدبي، وعندما يتخذ الكاتب موقفاً تراه الغالبية خاطئاً، فإن هذا الموقف يؤثر في النظر إلى أدب الكاتب مهما كان عظيماً.

لكن أصحاب الرأي الأول يرون أن كل هذه الإشكالات المصاحبة للجوائز سرعان ما يتجاوزها الزمن وتتلاشى، فيما يبقى الفن حاضرًا، وقيمة جائزة نوبل بالنسبة لروائي مهم كـ «بيتر هاندكه» هي أنها تقدمه لقراء جدد في مختلف أنحاء العالم، وكذلك لأجيال قادمه لن تحكم عليه إلا من خلال ما قدم من إبداع، بعيدًا عن كل المواقف الإشكالية.

بقي أن نذكر أن صاحب «المرأة العسراء»، و«خوف حارس المرمى عند ضربة الجزاء» من الشخصيات التي اعتبرت أنه ينبغي إلغاء جائزة نوبل الأدبية، وقد قال عن هذه الجائزة «إنها شكل من أشكال التقديس الزائف، الذي لا يفيد القارئ بشيء»!

* كاتب وقاص من السعودية.